الإنسانية في ضوء السنة النبوية

دراسة تأصيلية تطبيقية

إعداد

د/ محمد عبد العزيز متولي سيد أحمد عيسى

مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين والدعوة

فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

الإنسانية في ضوء السنة النبوية دراسة تأصيلية تطبيقية

محمد عبد العزير متولي سيد أحمد عيسى
قسم الحديث وعلومه – كلية أصول الدين والدعوة – جامعة الأزهر بالمنوفية
البريد الإلكتروني : Mohamedahmed.adv@azhar.edu.eg

الملخص :

قمت بكتابة هذا البحث حتى أبين أن الإنسانية الحقيقية الصحيحة هي إنسانية الإسلام، وأن الإسلام دين عالمي لجميع الناس، وأن القيم الإنسانية الحقيقية منبعها ومنشأها الإسلام، وبينت في هذا البحث أن الإسلام قد أعلى من قيمة الإنسان مطلقا، مؤمنا كان أو كافرا، انطلاقا من تكريم المولى تعالى له، فالكل في دولة الإسلام له ماله من حقوق، وعليه ما عليه من واجبات، فلا يجوز التعدي على هذا الإنسان، أو ظلمه، أو إهانته، أو الحط من إنسانيته بحال من الأحوال، وبينت في هذا البحث أيضا أن شريعة الإسلام أول من وضعت للإنسان حقوقا، مؤمنا كان أو كافرا، وأنها كذلك أرست مبادئ التعايش السلمي للمسلم مع غير المسلم، وأن الشريعة أعلت من القيم والمعاني الإنسانية إعلاء عظيما، فأمرت بالإحسان إلى الناس عامة مؤمنهم وكافرهم، طالما كان هذا الكافر لا يحارب الله ورسوله، وأن الشريعة كذلك قد سوت بين جميع الناس، فلا تمييز لأحد على أحد، أو تفضيل لأحد على أحد، على أساس لون، أو عرق، أو نوع، أو لغة ، فلا فضل لأحد على أحد، إلا بالتقوى والعمل الصالح، وذكرت في هذا البحث أن الإنسانية مع الزوجة والإحسان إليها، خلق إسلامي وإنساني رفيع، أمرت به الشريعة وحثت عليه، وأن الإنسانية مع الأصحاب، وإنزالهم منازلهم من التكريم والتعظيم، وإعطائهم حقوقهم، خلق إسلامي وإنساني رفيع، وأن العدل بين الأولاد، وعدم تفضيل أحدهم على الآخر، بدون وجه حق، خلق إسلامي إنساني أمرت به الشريعة وحثت عليه، وأن الإحسان إلى

العمال والخدام، والفقراء والمساكين، والتواضع لهم، ولين الجانب معهم، وجبر خاطرهم، خلق إسلامي إنساني رفيع، وبينت في هذا البحث كذلك، أن الشريعة الغراء عاملت الأعداء بمعاني الإنسانية العالية، وقيمها الرفيعة، فلا قتل للأعداء إلا إذا قاتلوا، وحتى من وقع في الأسري منهم، ضمنت له الشريعة الغراء الحق في المعاملة بإحسان، فلا امتهان لإنسانيته، ولا ضرب، ولا سب، ولا تجويع، ولا تعذيب، بل أمرت بإطعامهم، وأمرت لهم بلباس يقيهم حر الشمس، وبرد الليل، وذكرت في هذا البحث أن الإنسانية في الإسلام، قد بلغت أقصى مدى، قد يعرفه الإنسان، حتى الحيوان في الإسلام، ضمنت له الشريعة عدم الاعتداء عليه بغير وجه حق، فلا يجوز تجويعه، أو تعذيبه، أو تحميله ما لا يطيق، فالإسلام أعلى من القيم والمعاني الإنسانية، وأعطى كل كل ذي حق حقه، حتى ولو كان حيوانا أعجميا.

الكلمات المفتاحية : القيم – الإنسانية – ضوء – السنة – النبوية .

Humanity in the light of the Sunnah of the Prophet, an applied and original study

Mohamed Abdel Aziz Metwally Sayed Ahmed Issa
Department of Hadith and its Sciences - Faculty of Fundamentals of Religion and Da`wah - Al-Azhar University in Menoufia
Email: Mohamedahmed.adv@azhar.edu.eg

Abstract :
I wrote this research in order to show that true and true humanity is the humanity of Islam, and that Islam is a universal religion for all people, and that true human values are their source and origin in Islam. The Lord Almighty is for him, so everyone in the Islamic state has his money from rights, and he has his duties, so it is not permissible to transgress this person, or oppress him, or insult him, or degrade his humanity in any way, and I also showed in this research that the law of Islam is the first to It established rights for the human being, be it a believer or an unbeliever, and it also laid down the principles of peaceful coexistence of a Muslim with a non-Muslim, and that the Shari'a is much higher than human values and meanings, so it commanded kindness to the people in general, believers and unbelievers, as long as this infidel does not wage war against God and His Messenger, and that the Shari'a is likewise It has equalized all people, so there is no discrimination for one over another, or preference for one over another, on the basis of color, race, gender, or language.There is no preference for anyone over anyone, except by piety and good deeds, and I mentioned in this research that humanity with the wife and kindness to her is a high Islamic and human morality, commanded and urged by the Sharia, and that humanity is with the companions, and bringing them down to their homes of honor and glorification, and giving them their

rights, is an Islamic and human morality Sublime, and that justice among children, and not favoring one of them over the other, unjustly, is an Islamic humane moral commanded and urged by Sharia, and that kindness to workers and servants, and the poor and the needy, and humility to them, and softness towards them, and reparation for their thoughts, is a lofty Islamic humane morality, In this research, I also showed that the noble Sharia dealt with the enemies with the meanings of high humanity and its lofty values, so there is no killing of the enemies unless they fought, and even those who fell into captivity among them, the noble Sharia guaranteed him the right to be treated kindly, so there is no insult to his humanity, no beating, no insult , nor starvation, nor torture, but ordered them to be fed, and ordered them to wear clothes that protect them from the heat of the sun, and the cold of the night, and I mentioned in this research that humanity is inIslam has reached the maximum extent that a person may know, even an animal in Islam. Sharia has guaranteed him not to attack him unjustly, so it is not permissible to starve him, or torture him, or burden him with what he cannot bear, because Islam is higher than human values and meanings, and he gave everyone The right of his right, even if it was a foreign animal.

Keywords: Values - Humanity - Light - Sunnah - The Prophet.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم

وبعد،،،

فمن رحمة الله تعالى بخلقه أنه أرسل إليهم الأنبياء والرسل، كل رسول ونبي إلى قومه خاصة، يدعوهم إلى الإيمان بالله، ورسالته، ثم شاء المولى تعالى أن يرسل محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الإنسانية جمعاء، فرسالته صلى الله عليه وسلم رحمة شاملة، وبركة عامة للناس جميعاً من كل أمة، ومن كل جنس، على مدى الأيام والدهور، حتى قيام الساعة قال تعالى في كتابه العزير:"وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ "(١).

فرسالته صلى الله عليه وسلم لا تخص أمة من الأمم، ولا تنتهي عند زمن من الأزمان، فهي ليست للعرب وحدهم، وليست لعصر النبوة وحده، فما العرب فيها إلا لسانها وترجمانها، وما عصر النبوة إلا مطلعها، ومجلى أنوارها، ثم هي بعد ذلك رحمة مشاعة في الإنسانية جمعاء من لدن بعثته صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة،

قال تعالى: {قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

(١) سورة الأنبياء آيه رقم(١٠٧).

يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ} [١] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**"[٢].

والناظر في المصدر الأول في التشريع الإسلامي، وهو القرآن الكريم، يجد أن القرآن الكريم هو كتاب الإنسان، والإنسانية بحق، فالقرآن الكريم إما حديث عن الإنسان، أو إلى الإنسان، فما أُنزل القرآن إلا ليخاطب الإنسان، وكلمة الإنسان في القرآن تكررت كثيراً، وكذلك الخطاب بكلمة يابني آدم، وهذا واضح لقارئ القرآن، والمتأمل في القرآن يجد أن أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن، خمس آيات من أول سورة العلق، ذُكرت كلمة الإنسان في اثنتين منها، قال تعالى:" ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ "[٣] وهـــذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن الإسلام عني بالجانب الإنساني أيما

(١) سورة الأعراف آية رقم (١٥٨).

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَابُ: الصَّلاَةِ، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ٤٣٨/٩٥/١ ، جزءاً من حديث طويل، ط: دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر.

(٣) سورة العلق، آية رقم(١-٥).

عناية، فكان الخطاب لهذا الإنسان، الذي أكرمه الله تعالى بالعقل والنظر، فخط بالقلم وعَلِم، فلما عَلِم بحق، آمن بحق، وعلم أن فوق كل ذي علم عليم، وهو الله جل في علاه ، فمن آمن فقد علا بنفسه وإنسانيته على الدنايا والرذائل، ومن أبى فقد زلت قدماه في وحل الشهوانية البغيضة، والحيوانية الدنيئة، والتي لا تعرف من الدنيا إلا التمتع بالأعراض الزائلة، والأجساد الفانية، فرسالة الإسلام للإنسان مطلقاً في كل زمان ومكان،والقرآن الكريم كله في أحكامه وتشريعاته، وفي أوامره ونواهيه، وفي نصائحه ووصاياه، يخاطب الناس جميعاً، ويدعو الناس جميعاً بهذه الكلمة العامة الشاملة : **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ} أو {يَا بَنِي آدَمَ} أو {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ}**

لقد أعلى الإسلام من قيمة الإنسان مطلقاً مؤمناً كان أو كافراً، انطلاقاً من تكريم المولى تعالى له،

قال تعالى:" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ "[1] فلا يجوز التعدي عليه أو ظلمه بغير حق، أو إهانته أو الحط من إنسانيته، بحال من الأحوال ، فالكل في دولة الإسلام له ما له من حقوق، وعليه ما عليه من واجبات، فشريعة الإسلام هي أول من وضعت للإنسان حقوقاً مؤمناً كان أو كافراً، وأرست مبادئ التعايش السلمي للمسلم مع غير المسلم، وأعلت من القيم والمعاني الإنسانية أيما إعلاء، فأمرت بالإحسان إلى الناس عامة مؤمنهم، وكافرهم[2]، ومخاطبتهم بالتي هي أحس، قال تعالى:

(١) سورة الإسراء، آية رقم(٧٠).

(٢) والإحسان إلى الكافر مرهون بكونه لا يحارب الله ورسوله، ولا يسعى في الأرض بفساد ولا إفساد.

" وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا "(١) وقال تعالى:" وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ "(٢) وما كانت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إلا ليؤمن الناس بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا، ثم يُترجم هذا الإيمان إلى واقع عملي ملموس بين الناس، ألا وهو حُسن الخُلق، فبحسن الخُلق تُرفع درجة الإنسان في الدنيا والآخرة، **فعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، يُحَدِّثُنَا، إِذْ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا»**(٣)، فحُسن الخلق هذا هو ما يعلي من قيمة الإنسان وإنسانيته، فكلما عَظُمَت أخلاق الإنسان عَظُمَت إنسانيته، وكلما ضاعت أخلاقه وانتدثرت ضاعت إنسانيته(٤)، والإنسانية في الإسلام يعنى

(١) سورة البقرة، آية رقم(٨٣).

(٢) سورة العنكبوت آية رقم(٤٦).

(٣) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَابُ:الأَدَبِ، بَابُ: حُسْنِ الخُلُقِ وَالسَّخَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ البُخْلِ٨/١٣/٦٠٣٥، **ومسلم في صحيحه**، كتاب: الْفَضَائِلِ، بَابُ: كَثْرَةِ حَيَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٤/١٨١٠/٢٣٢١. طـ: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ت/محمد فؤاد.

(٤) لأن عند ضياع الأخلاق واندثاره يكون الإنسان أقرب ما يكون للحالة البهيمية منها للإنسانية، قال تعالى:"وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ "محمد، آية ١٢

بها:" القيم والفضائل النفسية المختصة بالإنسان[١] والتي يتميز بها عن غيره من المخلوقات"[٢]، وهذه القيم لن تكون إنسانية بحق، إلا إذا كانت نابعة من الإسلام وقيمه، وما خلا ذلك مما يسمى عند الغرب:" **بإنسانية الإنسان**" أو "**الحقوق الإنسانية**" هي في حقيقتها إنسانية مزعومة؛ وذلك لأنها في حقيقة الأمر، لا علاقة لها بالإنسانية لا من قريب ولا بعيد، وإنما هي دعوة لكي يتحلل الإنسان من الأديان، والقيم الأخلاقية التي تدعو إليها، فتحتها كانت الدعوة إلى الانحلال الأخلاقي، والتحرر من كل دين، والدعوة إلى الإباحية والشذوذ، وألصقوا ذلك بعبارات وعناوين براقة؛ حتى ينخدع بها العامة من الناس، وصاروا يروجون لهذه الشعارات، حتى أننا أصبحنا نرى اليوم بأعيننا دعوات إلى الرضا بالشذوذ، والإباحية القذرة وكأنها حق إنساني[٣] ، وهذا أمر لا نعرفه حتى في دنيا الحيوان، وغير ذلك من

(١) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ج ٢٠٨/١ ، ط: مكتبة الآداب- القاهرة- ط: الأولى ٢٠٠٤م، تحقيق:ا٠د/ محمد عباده.

(٢) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج٣٠/١ ط: دار الدعوة.

(٣) فقد أصدرت دول عدة، لاسيما في الغرب، قوانين تساند الشواذ، وتقوي شوكتهم، وتحذر من اقترب منهم، قولاً كان أو فعلاً، تحت مسمى:" الحق الإنساني والحرية الإنسانية" بل وصارت إلى أبعد من ذلك بكثير، من الدعوة إلى الانخراط معهم، وتشجيعهم، وهذا ما نراه اليوم واقعاً، في مباريات كرة القدم من فرض شارة المثلية والشذوذ على لاعبي كرة القدم في الأندية العالمية، وفي المدرجات على المشجعين، بل حتى الترويج لهم في المسلسلات والأفلام، حتى الصغار ما سلموا من الترويج للشذوذ في الأفلام الكرتونية، وهذا ما أعلنته مديرة مؤسسة ديزني المشهورة= شركة إنتاج الرسوم المتحركة بأمريكا= هذا العام، وتعهدت بإنتاج المزيد من الشخصيات الكرتونية التي تدعم المثلية" الشواذ جنسياً"؛ وذلك لأن الشركة على حسب زعمها، =

الموبقات كثيراً، وأصبحنا نرى دعوات مغرضة، تدعو الناس إلى التخلي عن القيم والفضائل، والتحلي بالدنايا والرذائل، عياناً جهاراً بلا حياءٍ أو خجلٍ، واعتبار أن ذلك حق إنساني، وأصبحنا نرى بين المسلمين اليوم من يتنكرون لدينهم، ويصفونه بأنه لا يعرف عن الإنسانية شيئاً، وأن الإنسانية الحقيقة هي الإنسانية الغربية المعاصرة، التي أعطت للإنسان حقوقاً لم يعطه له الإسلام، بل وصاروا يتهمون الإسلام بأن دين اللاإنسانية، والهمجية، وأن المسلمين لا يعرفون إلا القتل والتنكيل بالمخالفين، وأن الإسلام لا يعرف رحمة ولا سماحة ولا إنسانية على الآخرين، وصاروا يتغنون بذلك في كتبهم، ومقالاتهم، وقنواتهم الإذاعية منها والمسموعة، فاغتر بذلك بعض المسلمين، ممن لا يفقهون في الإسلام شيئاً، واختلط الأمر على بعض العامة من المسلمين، حتى أننا أصبحنا نرى اليوم من يدافع عن الإسلام وكأنه متهم، فرأيت أنه من الواجب علي تجاه ديني أن أقوم بكتابة بحث أبين فيه أن الإنسانية الحقيقة هي إنسانية الإسلام، وأن القيم الإنسانية الحقيقة منبعها ومنشأها الإسلام وما خلا ذلك فهو مجرد ادعاء ، لا دليل عليه ولا سند،

لذا جعلت بحثي بعنوان: " **الإنسانية في ضوء السنة النبوية دراسة تأصيلية تطبيقية**"؛ حتى أسلط الضوء على أهم القيم الإنسانية في الإسلام[١] ، مع بيان أن أصل القيم الإنسانية الحقيقية[٢]، الإسلام، وذلك

=

ظلمتهم، ولم تساند حقوقهم، في التعريف بهم وتقبلهم في المجتمع! وقد حان الوقت لذلك. نسأل الله تعالى السلامة من الفتن والبلايا.

(١) فالإحاطة بالإسلام، وقيمة الإنسانية العالية، أمر مستحيل، على كاتب، وكتاب، لكن حسبي أن أبين بعضها على قدر وسعي وطاقتي ، نسأل الله القبول .

(٢) فهناك قيم إنسانية مزعومة عند الغرب، لا علاقة لها بالإنسان وإنسانيته، لا من قريب ولا من بعيد، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: حق الإنسان عندهم في =

من خلال تطبيق رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه القيم والمعاني الإنسانية تطبيقاً عملياً. مؤكداً ذلك بنصوص من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان منهجي فيه على النحو الآتي:

أولا: قمت بذكر بعض القيم الإسلامية الإنسانية، والتي حثت عليها الشريعة الإسلامية وأمرت بها، وبينت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قام بتطبيق هذه القيم تطبيقاً عملياً، باعتباره صلى الله عليه وسلم المعلم الأول والمربي لهذه الأمة، وذلك من خلال جمع الأحاديث النبوية المتعلقة بهذه القيم الإسلامية الإنسانية، منتقياً منها الصحيح من السنة النبوية المطهرة ومقبولها؛ لأبين من خلالها منهج الإسلام في إعلاء القيم الإنسانية ومكانتها، وبيان أن الإنسانية الحقيقية منبعها ومنشأها الإسلام.

=

تغير جنسه من ذكر لأنثى أو العكس، وحقه في ممارسة الجنس كيفما يشاء مع رجل كان أو امرأة أو حتى حيوان، ففي ألمانيا هذا العام- ٢٠٢٢م- بالتحديد في شهر أغسطس، قام أناس بالتظاهر؛ حتى يقر القانون عندهم بحقهم في ممارسة الجنس مع الحيوان!، ومن ذلك أيضا: حقه في تغير خَلقه = تجميل جسده أو حتى تشويه= كما يشاء، حتى أننا رأينا عند الغرب رجالاً ونساءً قاموا بعمليات تجميل حتى تصبح أشكالهم على أشكال حيوانات معينة، والشبكة العنكبوتية تمتلىء بهولاء ، وغير ذلك كثير ، فهل ما ذكرناه له علاقة بالإنسانية؟ الإجابة في بداهة لا.، فهذه موبقات تحط من شأن الإنسان وكرامته، ألصقوها بالإنسانية وهي كلمة حسنة؛ حتى ينخدع بها العامة من الناس، وأصحاب الشهوات، لكنها في حقيقة الأمر أقرب إلى البهيمية بل أشد؛ فالحيوان لا يعرف الشذوذ الجنسي، إلا ما كان من خنزير حرم الله أكله.

ثانيـاً: رتبت هذه النصوص ترتيباً موضوعياً ، ثم قمت بدراستها وتحليلها على قدر طاقتي، مستعيناً في ذلك بشروح العلماء وأقوالهم.

ثالثـاً: قمت بتخريج الأحاديث المذكورة من كتب السنة النبوية المطهرة، وذلك بذكر من أخرجها من الأئمة في كتابه، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، فإني اكتفي بالتخريج منهما أو من أحدهما، وأغلب ما في البحث من الأحاديث في الصحيحين.

رابعـاً: إذا لم يكن الحديث في الصحيحين أو في أحدهما ، قمت بدراسة إسناده في الهامش مُختَصِراً الترجمة[1] قدر الإمكان بما لا يخل بها، ثم أبين درجة الحديث بعد ذلك فأقول مثلاً: والحديث بهذا الإسناد صحيح، أو حسن، وكنت حريصاً على عدم ذكر الأحاديث الضعيفة في هذا البحث.

خامساً: قمت بالتعليق على تلك الأحاديث، وتوضيح معاني الغريب فيها، والتعريف بالأعلام، وغير ذلك مما اقتضته ضرورة البحث.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وخطة البحث ومنهجه.

وأما التمهيد: فعرفت فيه معنى الإنسانية، وذكرت فيه أن الإنسانية في الإسلام قائمة على أنه دين عالمي، وليس لقوم بعينهم .

وأما المبحثان: فهما على النحو الآتي:

- **المبحث الأول:** مولد الإنسانية، وإنسانية الإسلام، وفيه مطلبان:
- **المطلب الأول:** مولد الإنسانية.
- **المطلب الثاني:** إنسانية الإسلام.
- **المبحث الثاني:** ذكر بعض القيم الإنسانية في السنة النبوية، وقد قسمته إلى أحد عشر مطلباً، وهي على النحو الآتي:
- **المطلب الأول:** عدم التشديد والتضييق على الناس.

---

(١) وذلك حتى لا يطول البحث مني عن حد المقبول والمعقول.

- **المطلب الثاني:** التعايش السلمي مع غير المسلمين.
- **المطلب الثالث:** العفو والصفح.
- **المطلب الرابع:** الإنسانية مع الزوجة.
- **المطلب الخامس:** الإنسانية مع الأبناء.
- **المطلب السادس:** الإنسانية مع الأصحاب.
- **المطلب السابع:** الإنسانية مع الفقراء والمساكين.
- **المطلب الثامن:** الإنسانية مع العمال والخدم.
- **المطلب التاسع:** الإنسانية مع العصاة والمذنبين.
- **المطلب العاشر:** الإنسانية مع الأعداء.
- **المطلب الحادي عشر:** الإنسانية مع الحيوان.

وأما **الخاتمة:** فقد اشتملت على أهم نتائج هذا البحث.

وبعد،،

فهذا جهد المقل فإن كنتُ أحسنتُ فيما جمعتُ، وأصبتُ في الذي صنعتُ ووضعتُ، فذلك من عميمِ مِننِ اللهِ – تعالى – وجزيلِ فضلِه، وعظيمِ أنعُمِه عليّ وجليلِ طَولِه. وإن أنا أسأت فيما فعلتُ، وأخطأتُ إذ وضعتُ، فما أجدرَ الإنسانِ بالإساءةِ والعيوبِ، إذا لم يَعصِمْه ويَحفَظْهُ علامُ الغُيوبِ.والله أسال أن ينفع به، وأن يتقبله مني خالصا لوجهه .

والحمدُ للهِ أولاً وأخيراً ، وصلِّ اللَّهمَ وباركْ على سيِّدِنَا ونبيِّنَا وقُرَّةِ أعينِنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم

دكتور

محمد عبد العزير متولي سيد أحمد عيسى

مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين

والدعوة فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

تمهيد:" تعريف الإنسانية"

إنسانيَّة اسم مؤنَّث منسوب إلى إنسان: وهي:مصدر صناعيّ من إنسان: والإنسانية مجموع خصائص الجنس البشريّ، التي تميّزه عن غيره من الأنواع القريبة، ضدّ البهيميّة أو الحيوانيّة [١]، والإنسانية أيضا هي: الْفَضَائِل النفسية المختصة بالإنسان[٢]، والتي يتميز بها عن غيره من المخلوقات[٣]، ورجل إنساني: شخص خيريّ يُحسن إلى الناس بماله، وعمله، وذو نزعة إنسانيّة أي :عمل إنسانيّ، وتصرُّف لا إنسانيّ أي: منتهك للمشاعر الإنسانيَّة، واللاَّإنسانيَّة: إهدار قيمة الإنسان وحقوقه، والإيمان بالعنصريّة، والقسوة في معاملة الآخرين [٤].

والإنسانية في الإسلام قائمة على أنه دين عالمي، وليس لقوم بعينهم، قال تعالى في كتابه العزيز:

"وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ "[٥] وقال تعالى:"وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ "[٦].

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، لسعادة الدكتور:أحمد مختار عبد الحميد١٣٠/١ طـ: عالم الكتب، طـ: عالم الكتب، طـ: الأولى ٢٠٠٨م.

(٢) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ج ٢٠٨/١ .

(٣) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج٣٠/١ طـ: دار الدعوة.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة ١٣٠/١ .

(٥) سورة الأنبياء آيه رقم(١٠٧).

(٦) سورة سبأ آيه رقم(٢٨).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً"(١). فالإنسانية في الإسلام، قائمة على أساس المساواة في الحقوق والواجبات، فالكل سواء أمام دولة الإسلام، فلا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى والعمل الصالح، بعيداً عن التفاخر بالأحساب، والأنساب، والأموال، **فعَنْ أَبِي نَضْرَةَ قال: حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟ " قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: " أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ "، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ: " أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ "، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ "، قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: " فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ " . قَالَ: وَلَا أَدْرِي قَالَ: أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا . كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَبَلَّغْتُ؟ "، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: " لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ** (٢)" في هذا الحديث الشريف بيان للأصل الصحيح الذي يتفاضل به الناس وهو التقوى والعمل الصالح، وأن جميع الناس سواسية

---

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَابُ: الصَّلاَةِ، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ٤٣٨/٩٥/١ جزءاً من حديث طويل.

(٢) **أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند** ٢٣٤٨٩/٤٧٤/٣٨ قال: **حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ الْجُرَيْرِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ**.... الحديث، طـ: مؤسسة الرسالة، طـ: الأولى ٢٠٠١م. **وأبو بكر البيهقي في شعب الإيمان**٤٧٧٤/١٣٢/٧ من طريق: أبي قِلَابَةَ شيبة، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ،عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ...به ،طـ: مكتبة الرشد،طـ: الأولى ٢٠٠٣م.

الحكم على الحديث: الحديث بهذا الإسناد صحيح؛ رجاله ثقات، وسنده متصل، وقد سمعه أبو نضرة من جابر ابن عبد الله رضي الله عنه كما عند البيهقي.

أمام الشرع الحنيف، فلا يُفرق بينهم على أي أساس سواء في الجنس، أو اللون، أو العرق، أو اللغة، أو المكانة الاجتماعية، فالكل في ميزان الإسلام سواء، لا تفرقة ولا تمايز ولا تفاضل بينهم، إلا بمعيارٍ واحدٍ وهو التقوى، وهذا المعيار جاء منصوصًا عليه في القرآن الكريم ،فقال تعالى:" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ "(١) .

فالتقوى أساس للفلاح، وسبيل للنجاح، وفي ذات الوقت هي أداة التفاضل بين الناس عند الله تعالى، وما سواها لا قيمة له ولا وزن.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ:

{وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ }(٢)، **قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا – اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»**(٣) .

فرسول الله –صلى الله عليه وسلم – خاطب في هذا الحديث الشريف أهله عامة، ثم خصهم فذكر العباس عمه، وصفية عمته، وفاطمة ابنته؛

---

(١) سورة الحجرات، آيه رقم(١٣).

(٢) سورة الشعراء،آية (٢١٤).

(٣) **أخرجه البخاري في صحيحه** ، كِتَابُ: الوَصَايَا بَابٌ: هَلْ يَدْخُلُ النِّسَاءُ وَالوَلَدُ فِي الأَقَارِبِ؟ ٢٧٥٣/٦/٤، **ومسلم في صحيحه**، كتاب: الأيمان، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} ٢٠٦/١٩٢/١.

لقرابتهم منه، ومدى حبه لهم، وبين لهم أن الإيمان به، والعمل الصالح، سبيل النجاة يوم القيامة، وأنه لن يغني عنهم من الله شيئاً، إن لم يؤمنوا به ويعملوا صالحاً.

وكَانَ عُمَرُ الفاروق – رضي الله عنه–، يفاضل بين أصحابه على أساس التقوى والعمل الصالح، فكان يقدم أشياخ بدر على سائر الناس، ويجعلهم في خاصة مجلسه، وقد أثنى ذات يوم على أبي بكر رضي الله عنه، وصاحبه بلال بن رباح رضي الله عنه فقال: «**أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يَعْنِي بِلاَلًا**»(١).

وما قاله عمر – رضي الله عنه– في حق الصديق، صدق وحق، فالصديق مقدم على عمر وسائر الأمة، لا يقاربه ولا يدانيه أحد، وما قاله في حق سيدنا بلال بن رباح –رضي الله عنه – أدب وتواضع من عمر– رضي الله عنه– فعمر ابن الخطاب الرجل الثاني في الأمة بعد الصديق، بإجماع الأئمة،

وهذا تشريف يستحقه سيدنا بلال – رضي الله عنه–، وفي قول عمر –رضي الله عنه – تجسيد حقيقي لمعنى إنساني عظيم، وهو التواضع والأدب، وإنزال الناس منازلهم من التكريم والتعظيم، فعمر الحسيب النسيب، المؤمن الصادق الإيمان، المبشر بالجنة، خليفة المسلمين، رأس الدولة، يأمر فيُطاع، يقول هذا الكلام في حق سيدنا بلال الحبشي – رضي الله عنه–، فديننا دين الإنسانية جمعاء، فالإسلام هو الذي جمع بين أبي بكر العربي، وسلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي، فالكل سواء في دولة الإسلام، فلا ظُلم ولا هضم لأحد، ولا فضل لأحد على أحد، إلا بالتقوى، والعمل الصالح .

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه** كتاب: أصحاب النبي، بَابُ: مَنَاقِبِ بِلاَلِ بْنِ رَبَاحٍ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا٥/٢٧/٣٧٥٤.

المبحث الأول: مولد الإنسانية، وإنسانية الإسلام

المطلب الأول: مولد الإنسانية

نستطيع أن نقول بكل صراحة ووضوح، وحق لاشك فيه، أن الإنسانية قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كانت قد وصلت إلى أحط صورها؛ فقد كان العالم في تلك الأثناء ممزقا أوصاله، متفرقة أواصره، يعيش حالة من التيه والتخبط، فلو نظرنا إلى أحوال الإمبراطوريات الحاكمة آنذاك، لوجدناها تعيش أحوال أقرب إلى الأحوال البهيمية، وأبعد ما تكون عن الإنسانية:

فقد كان الرومان يحكمون ويتحكمون في بقاع كثيرة من العالم، وكانوا يمارسون أبشع صور الاضطهاد والظلم ضد مواطني تلك البلاد، ولا يشغلهم سوى جني الأموال، والسيطرة على مقدرات الشعوب، والحصول على أكبر قدر من المنافع، بأي وسيلة وطريقة كانت، غير مبالين بالناس وأحوالهم، وما يعانون، ناهيك عن الاضطرابات والحروب، والفتن التي كانت تشهدها هذه البلاد.

وأما عن الفرس: فلم يكونوا بأحسن حالاً عن الرومان، فمع اتساع دولتهم وقوتها من الناحية العسكرية، إلا أنها من الناحية الإنسانية كانت تعيش أسوأ الحالات الإنسانية، فقد كان الناسُ على مللٍ ونحلٍ كثيرة متفرقة، لا يعرفون رباً، ولا ديناً سماوياً، إلا ما ندر، وكان الحكامُ يعتبرون أنفسهم فوق البشر، بل يظنون أنهم من نسل الآلهة كما يزعُمون، وأن الناسَ لهم خدم وتبع،لا قيمة لهم ولا وزن ، فلا حق لهم، فهم من جملة متاعهم.

وأما عن العرب: فلم يكن الحال في الجزيرة العربية، بأفضل حال عن بلاد الفرس والروم، وسائر بلاد العالم أنذاك، فلم تكن جزيرة العرب بمنأى عن التأثر بالحالة العامة، التي يعيشها العالم أنذاك، فقد كان العرب قبائل متفرقة، تعاني التناحر والاقتتال غالب الوقت، وعلى أتفه الأمور قد تقوم

حرباً طاحنةً، تأكلُ الأخضرَ واليابسَ، وتظل هذه الحرب لسنوات طويلة جداً، قد تصل إلى نصف قرن، وقد تقوم الحرب بسبب العصبية والزعامة، ولعل أشهر هذه الحروب: حرب داحس والغبراء، والبسوس[1]، فالعرب في هذا الوقت قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعيشون بقانون الغاب: القوي يأكل الضعيف، والبقاء للأقوى، والمال للأقوى، والنفوذ للأقوى، وأما الضعيف والمسكين، ومن لاعُصبة له، فلا حظ له في الحياة إلا بما يرتضيه السادة من القوم.

وأما عن الناحية الدينية عند العرب قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم: فعبادة الأصنام هي السائدة بين القبائل

وعلى كل حال، كان الناس قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم على طبقتين تقريباً، طبقة السادة: الذين كانوا يحظون بالرياسة، والزعامة، والرعاية، والمال، وهم قليل جداً، وطبقة عموم الناس: فلا كرامة لهم، ولا حق لهم، رجلاً كان أو امرأةً، فقد كان الإنسان يُعامل كأنه سلعة يُباع ويُشترى، وعند الحروب كان هؤلاء الضعفاء والمساكين، أول آتون لهذه الحرب، فليمت من يمت، وليعش من يعش، وكانت المرأة بأسوأ حال عن الرجل ألف مرة؛ فهي تحمل العار منذ لحظة ولادتها؛ وما ذلك إلا لأنها أنثى، وينظر إليها على أنها كائن من الدرجة الثانية لا قيمة لها ولا وزن، حتى أن بعض الحضارات من قديم الزمان، قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى وقت قريب جداً في بلاد كالهند، ونيبال مثلاً، كانوا يرون أنه لا حق للمرأة في الحياة بعد وفاة زوجها، وإن أبت الحرق بجواره كان العار ما حيت.

وشاء المولى تعالى أن تولد الإنسانية من جديد؛ وذلك بميلاد رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كانت الإنسانية على موعد مع منقذها، الذي قيضه الله تعالى لها؛ ليخرجها من التردي والانحراف والضياع الذي أصابها، حتى تنعم من جديد بنور الوحي، الذي تخلت عنه لسنوات طويلة، فتهتدي من الضلالة، وتسترد نقاء الفطرة التي دنستها الممارسات

الفاسدة، فكان ميلاد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إيذاناً بميلاد الإنسانية، التي تجسدت في شخصه صلى الله عليه وسلم، فقد أجابت **السيدة عائشة أم المؤمنين** رضي الله عنها لما سألها سعد بن هشام عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَتْ: «**أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ»**(١).

فكان ميلاده صلى الله عليه وسلم إيذانا ببزوغ نجم محاسن الأخلاق من جديد، وعلى كل حال فقد كانت كل القيم الإنسانية قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم قد انحدرت، وضاعت في طول الأرض وعرضها، ولم يبق على هذا الكوكب أحد يتمسك بالدين والأخلاق، وبالقيم الإنسانية، إلا أفراد قلائل من أهل الكتاب، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتذاكرون أمر الجاهلية في حديثهم؛ ليعرفوا نعمة الله تعالى عليهم بالإسلام، وبإرسال رسول الإنسانية إليهم، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن ذلك، بل كان يبتسم، فكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم إقراراً على فعلهم، **فعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ كَثِيرًا، «كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ، أَوِ الْغَدَاةَ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ»**(٢).

قال الشيخ العلامة محب الدين الخطيب:" فالمولد النبوي لم يكن مولد إنسان، وإنما كان مولد إنسانية، وكانت الإنسانية قبل ذلك أمنية الخواص، وكان التعامل بها محصوراً بين أفراد ممتازين، فلما آذن الله بمولد صاحب هذه الذكرى الخالدة على الدهر، رفع بمولده مقام الإنسانية، ونهض

---

(١) **أخرجه مسلم في صحيحه:** كِتَابُ: صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ: جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ ٧٤٦/٥١٢/١ جزءا من حديث طويل.

(٢) **أخرجه مسلم في صحيحه:**كِتَابُ: الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، بَابُ: فَضْلِ الْجُلُوسِ فِي مُصَلَّاهُ بَعْدَ الصُّبْحِ، وَفَضْلِ الْمَسَاجِدِ ٦٧٠/٤٦٣/١.

بمستواها إلى المرتبة التي كان يحلم بها الحكماء، ويرونها من أماني الخيال، فصارت الإنسانية عقيدةً وديناً، بعد أن كانت أمنية ووهماً، وقامت لها في الأرض دولة، تعد الصدق من دعائم دينها، والحياء من شعب إيمانها ، والرحمة من أسلحة نضالها، وإقامة الحق من شعائر مجتمعها، وإماطة الأذى عن كل طريق خُلقاً إسلامياً، يتخلق به كل من سار وراء هذا المتبوع الأعظم" (١).

المطلب الثاني: إنسانية الإسلام

إن الشريعة الإسلامية تمتاز بنزعتها الإنسانية الواضحة، ويتجلى ذلك في المعتقدات(٢)، والعبادات، والأحكام الفقهية، التي أول ما تراعي تراعي المعاني الإنسانية، وحالة الإنسان وقدرته، ومما يدل على ذلك وهو قليل من كثير في القرآن، والسنة النبوية المشرفة، قوله تعالى:" لا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ "(٣).

قال الواحدي عند تفسيره لهذه الآية:" الوسع اسم لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه، والمعنى لا يكلفها إلا يسرها لا عسرها" (٤).

(١) مع الرعيل الأول لمحب الدين الخطيب ١/ ٩ ، ط: المكتبة العلمية، بيروت– لبنان– ط ١٩٨٨م.

(٢) فالإسلام لا يحارب من خالفه في المعتقد، ولا يرغمه على الدخول فيه، بل أعطاه حقه في العيش آمناً مطمئناً، طالما لا يكيد لدين الله، قال تعالى" لا إكراه في الدين" والواقع والتاريخ يدل على ذلك، من أن المسلمين ما ظلموا أحداً في البلاد التي فتحوها، ولا ارغموا أحداً على الدخول في دينهم.

(٣) سورة البقرة، آية رقم(٢٨٦).

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ج١/ ص ٤٠٩،سورة البقرة، آية رقم (٢٨٦) ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ يَخْطُبُ يَوْمَ النَّحْرِ، إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: كُنْتُ أَحْسِبُ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - كَذَا وَكَذَا قَبْلَ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ قَامَ آخَرُ، فَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنْتُ أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا، لِهَؤُلَاءِ الثَّلَاثِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ» لَهُنَّ كُلِّهِنَّ يَوْمَئِذٍ، فَمَا سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا قَالَ: «افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ»[١] .

قال الشنقيطي[٢]:" قوله "**لا حرج**" أي: لا إثم عليكم فيما فعلتموه من هذا؛ لأنكم فعلتموه على الجهل منكم، لا على القصد، فأسقط عنهم الحَرَج، وعَذرهم لأجل النسيان، وعدم العلم"[٣].

وهكذا الشريعة الإسلامية دائماً وأبداً، تراعي أحوال الناس، في اليسر والعسر، وفي الصحة والمرض، وفي البر والبحر، وفي العمار والفلاة، فالإسلام دين الإنسانية، فالمعاني الربانية التي توجه المسلم من الإيمان، والتوحيد، والإنابة، والرجاء، والخوف، والتوكل، والرضا، والصبر وغير ذلك كثير، هي في حقيقتها معان إسلامية إنسانية، لأنها جزء من كيان الإنسان كما فطره الله، وهي سر من أسرار

قوله تعالى:" وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي [٤]" فالمسلم لا يستطيع أن يكون ربانياً حقاً، إلا إذا كان إنسانياً حقاً، وكذلك لا يستطيع أن يكون إنسانياً إلا إذا كان ربانياً، والناظر في المصدر الأول في التشريع

---

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه**: كِتَابُ: الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، باب: إذا حنث ناسيا في الأيمان وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ} [الأحزاب: ٥] وَقَالَ:{لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ} [الكهف: ٧٣] ٦٦٦٥/١٣٥/٨.

(٢) هو: **محمد الخضر بن عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي**.الأعلام ١١٣/٦.

(٣) كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَارِي ٢٨١/٣ لمحمَّد الخَضِر بن عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي، طـ: مؤسسة الرسالة.

(٤) سورة الحجر، آية رقم(٢٩).

الإسلامي، وهو القرآن الكريم، يجد أن القرآن الكريم هو كتاب الإنسان، والإنسانية بحق، فالقرآن الكريم إما حديث عن الإنسان، أو إلى الإنسان، فما أُنزل القرآن إلا ليخاطب الإنسان، وكلمة الإنسان في القرآن تكررت كثيراً، وكذلك الخطاب بكلمة يا بني آدم، وهذا واضح لقارئ القرآن، والمتأمل في القرآن يجد أن أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن، خمس آيات من أول سورة العلق، ذُكرت كلمة الإنسان في اثنتين منها، قال تعـــــالى: " ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ "[1] .

وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن الإسلام عني بالجانب الإنساني أيما عناية، فكان الخطاب له، **وإذا نظرنا في فقه العبادات:** لوجدنا أن هذا الجانب ليس بالكبير، في حين أن باقي الدين يتعلق بأحوال الإنسان، من أحوال شخصية، ومعاملات، وجنايات، وحقوق، وعقوبات، وأخلاقيات، وغير ذلك، والمتأمل في فقه العبادات كذلك يجد أنه لا يخلو من الجانب الإنساني، مع أنها عبادة محضة، إلا أن الجانب الإنساني واضح فيها لمن تأمل وعرف:

فعبادة الزكاة مثلا هي عبادة إنسانية في المقام الأول: تؤخذ من الغني فترد على الفقير، والمعنى الإنساني فيه واضح، من مساعدة المسلم لأخيه المسلم.

والصلاة كذلك لا تخلو من الجانب الإنساني: فمن يصلي بالناس إماماً لابد من أن يراعي أحوالهم، من ضعف، ومرض، وغير ذلك،

فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاَةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلاَنٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي

(١) سورة العلق، آية رقم(١-٥).

مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ المَرِيضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الحَاجَةِ»[1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على أن لا يطول الإمام على المأمومين فوق طاقتهم، وأمر من أم الناس أن يخفف، وقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر تطبيقاً عملياً؛ رفعاً للحرج عن أمته، وإشفاقاً عليهم؛ فإن فيهم المريض، والضعيف، وذا الحاجة، فالمعنى الإنساني من مراعاة أحوال الناس، وما يعتريهم، واضح في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والصلاة كذلك تعلم المسلم: الصبر، والانضباط، والتأني، وإعطاء الأركان حقها، وهذه من جملة المعاني الإنسانية التي يتعلمها المسلم من الصلاة.

وكذلك الصوم فيه من معاني الإنسانية الكثير: فالمسلم يتعلم منه: الصبر، وكبح الشهوات، والإحساس بآلام غيره من الفقراء والمساكين، فيسعى إلى مواساتهم بالإنفاق عليهم، وجبر خواطرهم .

والحج كذلك فيه من معاني الإنسانية ما فيه: يكفي أن المسلم لا يرى لنفسه فضلاً على أخيه، فالكل في مناسك الحج سواء، فلا فرق بينهم حتى في اللباس، فلا تعرف رئيساً من مرؤوس، ولا تعرف غنياً من فقيرٍ، ولا خفيراً من وزير، وهذا من المعاني الإنسانية العظيمة التي يتعلم المسلم منها التواضع.

---

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه** كتاب: العلم، بَابُ: الغَضَبِ فِي المَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ ١/٣٠/٩٠

المبحث الثاني: ذكر بعض القيم الإنسانية في السنة النبوية

قد نرى عند الغرب من يدعي أن الإنسانية الحقيقية، هي وليدة الحضارة الغربية الحديثة، وأن العالم لم يكن ليعرف الإنسانية إلا من خلال هذه الحضارة، التي وضعت في دستورها حقوقاً للإنسان تصون له كرامته، وحريته، وحقه في العيش آمناً مطمئناً، بل ويدعون أن الإنسانية عندهم، وصلت إلى ما هو أبعد من الإنسان، إلى صون حقوق الحيوان، فأنشأوا ما يُعرف بجمعيات:" **حقوق الحيوان، والرفق به**"، وأخذوا يتباهون بذلك،

ونسوا أو تناسوا أن ما زعموه من أن العالم لم يكن ليعرف الإنسانية ومعانيها، إلا من خلال هذه الحضارة الغربية الحديثة، أن هذا مجرد ادعاء، لا دليل عليه ولا سند، **وأن الإنسانية الحقيقية هي إنسانية الإسلام، التي يعرفها كل مُنصف**، وقد بلغت الإنسانية في الإسلام أقصى معانيها وأسماها؛ عندما تجسدت في شخصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو صلى الله عليه وسلم كان التطبيق العملي لخُلق الإسلام وقيمه، ومعانيه الإنسانية، حتى أن الله تعالى لما زكاه في قرآنه زكى أخلاقه فقال:

" وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ "[1] **قال السمعاني:**" أَي: على الْخُلق الَّذِي أدبك الله بِهِ مِمَّا نزل بِهِ الْقُرْآن من الْإِحْسَان إِلَى النَّاس، وَالْعَفو، والتجاوز، وصلَة الْأَرْحَام، وَإِعْطَاء النصفة، وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْي عَن الْمُنكر، وَمَا أشبه ذَلِك"[2].

فعلى صلى الله عليه وسلم بأخلاقه على سائر البشر، فكان التطبيق العملي لخلق الإسلام وقيمه الإنسانية، ولما سئلت السيدة عائشة رضي الله

(١) سورة القلم، آية رقم(٤).

(٢) تفسير القرآن للسمعاني ١٨/٦ ، ط: دار الوطن، الرياض، ط: الأولى.

تعالى عنها عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت:" «**فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ**»[١]." .

قال ابن رجب الحنبلي:" كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ، تَعْنِي: أَنَّهُ تَأَدَّبَ بِآدَابِهِ، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ، فَمَا مَدَحَهُ الْقُرْآنُ، كَانَ فِيهِ رِضَاهُ، وَمَا ذَمَّهُ الْقُرْآنُ، كَانَ فِيهِ سُخْطُهُ"[٢].

وقال النووي:" مَعْنَاهُ: الْعَمَلُ بِهِ، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ، وَالِاعْتِبَارُ بِأَمْثَالِهِ وَقَصَصِهِ، وَتَدَبُّرُهُ وَحُسْنُ تِلَاوَتِهِ"[٣].

فالإنسانية الحقيقية ومعانيها الصحيحة، منبعها ومنشأها الأصلي الإسلام، والإسلام بلغ الحد الأقصى في تطبيق هذه المعاني، في خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى مخاطباً رسوله ومصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم:" **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**"[٤] **قال الطبري** في تأويل قوله "**فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**": فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين[٥].

فأي فخر هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، خاطبه ربه فقال له: "**فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**" فرسولنا صلى الله عليه وسلم قد بلغ المنتهى من الكمال البشري في أخلاقه، فكان التجسيد العملي لخلق الإسلام وقيمه الإنسانية، والقيم الإنسانية في الإسلام كثيرة جداً، لا يستطيع أن يحصيها العاد، ولو

---

(١) **أخرجه مسلم في صحيحه:** كِتَابُ: صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ: جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ ٧٤٦/٥١٢/١ جزءا من حديث طويل.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب:٣٧٠/١، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: لأبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي ٢٦/٦ ، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.

(٤) سورة الطور، آية رقم(٤٨).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن:لأبي جعفر الطبري ٤٨٨/٢٢، طـ: مؤسسة الرسالة، طـ: الأولى ٢٠٠٠م، ت/ العلامة أحمد شاكر.

أردنا ذلك ما وسعنا وقت، ولا جهد، ولا كتاب، وما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، لكن حسبُنا أن نذكر بعضها؛ حتى نتعلم وتتعلم البشرية جمعاء، الإنسانية الحقيقية الصحيحة، من خلال أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن هذه القيم الإنسانية في الإسلام:

المطلب الأول: عدم التشديد والتضييق على الناس

قد نجد في عصرنا الحديث، اليوم من العلماء والناس، من لا يجيد إلا التشديد والتضييق على الناس، في أمور دينهم ودنياهم، في حين أن المتأمل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يجد أن إنسانية رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمته بأمته، تتجلى في اختيار الأيسر والأسهل، مالم يكن اثماً:

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا»[1] .

قال القاضي عياض مبيناً لبعض الفوائد من الحديث:" فيه الأخذ بالأيسر والأرفق، وترك التكلف، وطلب المطاق، إلا فيما لا يحل الأخذ به كيف كان، ويحتمل أن يكون التخيير هنا من الله تعالى مما فيه عقوبتان، أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ الجزية، أو فيما يخبره فيه المنافقون

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه**،كِتَابُ: المَنَاقِبِ، بَابُ: صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٣٥٦٠/١٨٩/٤، **ومسلم في صحيحه:** كتاب: الفضائل، بَابُ: مُبَاعَدَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْآثَامِ ،وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ، وَانْتِقَامِهِ لِلَّهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ ٢٣٢٧/١٨١٣/٤.

من المواعدة والمحاربة، أو أمته من الشدة في العبادة أو القصد، وكان يذهب في كل هذا إلى الأيسر"[١].

وعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» قَالَتْ: فُلاَنَةُ، تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا، قَالَ: «مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا» وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ"[٢].

فالنبي صلى الله عليه وسلم أرسى لأمته مبدأ اليسر والسهولة، الذي يتماشى مع الإنسانية ما لم يكن إثماً، فكم من إنسان شدد على نفسه في دينه ودنياه، فانفلت عقده، ولم يستطع التحمل والصبر؛ فضيع دينه ودنياه.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا[٣] .

قال القاضي عياض:" والمتنطعون: هم المتعمقون الغالون، ومعنى هلاكهم: يريد فى الآخرة[٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[٥].

قال البيضاوي:" والمعنى: إن دين الله الذي أمر به عبادة مبني على اليسر والسهولة،

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢٩١/٧، للقاضي عياض بن موسى ، دار الوفاء.

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه** كتاب: الإيمان، بَابٌ: أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَدْوَمُهُ١/١٧/٤٣.

(٣) **أخرجه مسلم في صحيحه** كتاب: العلم، بَابُ: هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ ٤/٢٠٥٥/٢٦٧٠.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٨/١٦٤.

(٥) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب: الإيمان: بَابٌ: الدِّينُ يُسْرٌ ١/١٦/٣٩.

" **وَلَـنْ يُشَـادَّ الـدِّينَ** "، أي: لـن يقاومـه بشـدة، والمشـادة: التشـدد، والمعنى: إن من شدد على نفسه وتعمق في أمر الدين بما لم يوجب عليه، كما هو دأب الرهابنة وأرباب الصوامع ، فلربما يغلبه ما يحمله من الكلفة، فيضعف عن القيام نحو ما كلف به، وهو معنى قوله:" **إِلَّا غَلَبَهُ** "، فإنه تقال أمر الدين، وقصد أن يغلب عليه بالزيادة والتشدد في أفعاله، فعاد مغلوبا بما فرط في التكاليف، و" **سددوا** " أي: الزموا الطريق المستقيم، من السدادة ،وهو الاستقامة ،" **وَقَارِبُوا** ": اقتصدوا وتوسطوا ، فلا تفتروا ولا تشددوا"[(١)].

وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل، وأبي موسى الأشعري حينما بعثهما إلى اليمن:"**«يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا»**[(٢)]" .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد طبق هذا المبدأ، وهو مبدأ اليسر والتيسير على الأمة ما لم يكن إثماً، تطبيقاً عملياً، ومن ذلك ما جاء **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الحَبْلُ؟» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»**[(٣)].

---

(١) تحفة الأبرار ٢٩٦/٣٦٩/١ للبيضاوي طـ: وزارة الأوقاف بالكويت،

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلَافِ فِي الحَرْبِ، وَعُقُوبَةِ مَنْ عَصَى إِمَامَهُ٣٠٣٨/٦٥/٤ ، **ومسلم في صحيحه**، كتاب: الجهاد والسير، بَابٌ: فِي الْأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ، وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ١٧٣٣/١٣٥٩/٣.

(٣) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب: التهجد، باب: مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّشْدِيدِ فِي العِبَادَةِ ١١٥٠/٥٣/٢، **ومسلم في صحيحه** : كِتَابُ: صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ: أَمْرِ مَنْ نَعَسَ فِي صَلَاتِهِ، أَوِ اسْتَعْجَم ٧٨٤/٥٤١/١.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى أن زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها قد شددت على نفسها في العبادة، ونصبت حبلاً بين سارتين؛ حتى إذا فترت تعلقت به، كان النهي النبوي عن ذلك، وكان التوجيه أن المسلم لا يصلى إلا إذا كان في نشاطه وإقباله وإلا فلا، وعلى هذا يكن القياس في سائر الأعمال الصالحة التي تحتاج إلى جهد ومشقة، فإن وجد في نفسه عزماً وقوةً وإقبالاً على العبادة والعمل، فهذا من فضل الله تعالى عليه، فليجتهد، وليلزم باب الاجتهاد في العبادة، وإلا فليعمل من العمل ما يطيق حتى لا يمل؛ فيترك العبادة ويكون الشقاء، فكان التوجيه النبوي الاجتهاد في العبادة حال النشاط، فلأن يداوم المسلم على القليل من العمل، أحب إلى الله تعالى من كثير منقطع، **فعن القاسم بن محمد، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ»، قَالَ: وَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذَا عَمِلَتِ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ**(١).

فالتشدد والغلو في الدين خروج عن طبيعة البشر، وخرق لفطرة الله تعالى التي فطرنا عليها، فالتشدد والغلو في الدين لا تحتمله طبيعة الناس، ولا يستطيعون الصبر عليه، وإن احتمله أحد فهذا الشاذ والنادر، فالتشدد والغلو في الدين، هو طريق من طرق الفساد في الدين نفسه، فربما من شدد على نفسه في العبادة، مل فترك العمل بالكلية، فكانت العاقبةُ خُسراً، والمتأمل في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي خاطب فيه سيدنا معاذ بن جبل ، وهو غاضب؛ لما أطال بالناس في الصلاة، فقال: " **«يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ» – أَوْ «أَفَاتِنٌ» – ثَلَاثَ مِرَارٍ:**

(١) **أخرجه مسلم في صحيحه** : كِتَابُ: صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ: فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ١/٥٤١/٧٨٣.

«فَلَوْلاَ صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الحَاجَةِ» (١)".

يجد أن معاذاً رضي الله عنه قد أطال في الصلاة، وهذا أمر حسن، إن كان يصلي فرداً، فلما تجاوز معاذ الحد، وأطال على الناس وهو إمام لهم، كان النهي النبوي؛ لأنه رضي الله تعالى عنه بفعله هذا، قد وصل إلى حد التشديد على الناس من حيث لا يدري، وفي هذا فتنة عظيمة لهم، فكان الخطاب بقوله صلى الله عليه وسلم" **أَفَتَّانٌ أَنْتَ**"، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم طبيعة نفوس الناس، وأن نفس الإنسان تمل، فربما ترك الناس صلاة الجماعة خلفه، وفي هذا شر عظيم، فكان التوجيه النبوي لمعاذ أن لا يطيل على الناس، وأن يراعي أحوالهم وظروفهم.

والواقع المشاهد يبين لنا مدى صدق فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لطبيعة النفوس وحاجاتها، فكم رأينا من أناس، قد تشددوا في الدين، وشددوا على أنفسهم، وبعد فترة من الزمان انقلبوا على أعقابهم، وتبدل التشدد في الدين، إلى التساهل في الدين إلى حد الانحلال من الدين أحياناً، بل وضياع الدين بالكلية أحياناً أخرى، ومن هنا كانت سماحة الدين وإنسانيته، تقتضي أن نبتعد عن التشدد في الدين، وعن الغلو، وأن لا نكلف أنفسنا أو نكلف الناس، إلا ما يُطيقون، إستجابة للأمر النبوي:

" **عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَ اللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا» وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ**"(٢)" .

---

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه:** كتاب: الأذان، بَابُ: مَنْ شَكَا إِمَامَهُ إِذَا طَوَّلَ ١/١٤٢/٧٠٥، **ومسلم في صحيحه:** كتاب: الصلاة ، باب: القراءة في العشاء ١/٣٣٩/٤٦٥.

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه** كتاب: الإيمان، بَابٌ: أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَدْوَمُهُ١/١٧/٤٣.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينكر على المبالغين والمتشددين في الدين، الذين ربما أضاعوا حقوق الأخرين نتيجة لتشددهم، ومن هذا: **ما جاء من أن النبي صلى الله عليه وسلم" آخَى بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً ، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»**[(١)].

ومن ذلك أيضا ما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:" **قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟»، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَلاَ تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ»، فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً قَالَ: «فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، وَلاَ تَزِدْ عَلَيْهِ»، قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ؟ قَالَ: «نِصْفَ الدَّهْرِ»، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**[(٢)]".

---

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه:** كتاب: الصوم، بَابُ: مَنْ أَقْسَمَ عَلَى أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ، وَلَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَضَاءً إِذَا كَانَ أَوْفَقَ لَهُ ١٩٦٨/٣٨/٣.

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه:** كتاب الصوم: بَابُ حَقِّ الجِسْمِ فِي الصَّوْمِ ١٩٧٥/٣٩/٣، =

فالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم يعلم طبيعة النفوس، وأنها قد تمل عن العبادة في يوم من الأيام، وهذا من سوء العمل، فأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، ومن زاد ثم ترك، فقد أساء الأدب مع ربه، فكان التوجيه النبوي لعبد الله رضي الله عنه أن لا يزيد عن صيام داود لما شدد على نفسه، وأخبر الرسول الكريم أن به قوة، ثم ندم بعد ذلك؛ لما ألزم به نفسه؛ لما كبر في السن وضعف، **قَالَ النَّوَوِيُّ:** عند شرحه لقول عبد الله بن عمرو": **يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**" مَعْنَاهُ: أَنَّهُ كَبِرَ وَعَجَزَ عَنِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا الْتَزَمَهُ، وَوَظَّفَهُ عَلَى نَفْسِهِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَقَّ عَلَيْهِ فِعْلُهُ لِعَجْزِهِ، وَلَمْ يُعْجِبْهُ أَنْ يَتْرُكَهُ؛ لِالْتِزَامِهِ لَهُ فَتَمَنَّى أَنْ لَوْ قَبِلَ الرُّخْصَةَ"(١).

ومما سبق يتضح لنا ويتبين: أن الغلو والتشدد في الدين، هو في حقيقة الأمر، انحراف عن فهم حقيقة الدين فهماً صحيحاً، وتجاوز للحد الذي حده الشارع الحكيم، فديننا دين السماحة والإنسانية، واليسر لا العسر، فالتيسير على الناس، وعدم التشديد عليهم في أمور الدين والدنيا، مطلب إسلامي إنساني ما لم يكن إثماً.

=

ومسلم في صحيحه: كتاب: الصيام، بَابُ: النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ الدَّهْرِ لِمَنْ تَضَرَّرَ بِهِ أَوْ فَوَّتَ بِهِ حَقًّا أَوْ لَمْ يُفْطِرِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقَ، وَبَيَانِ تَفْضِيلِ صَوْمِ يَوْمٍ، وَإِفْطَارِ يَوْمٍ ٢/٨١٧/١١٥٩.

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٨/٤٣.

المطلب الثاني: التعايش السلمي مع غير المسلمين

من القيم الإنسانية الرفيعة في الإسلام: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسى مبادىء التعايش السلمي، مع المسلمين وغير المسلمين، وجعل العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة والمخالفين، لاسيما أهل الكتاب من اليهود والنصارى، قائمة على الإحسان، والبر، وحسن المعاشرة، طالما لا يحاربون الله ورسوله، حيث إن القرآن الكريم قد أسس لهذه العلاقة، فقال تعالى" لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ (١)" .

فمن القيم الإنسانية في الإسلام تجاه المخالفين المسالمين: أن الإسلام قد أجاز زيارتهم والإطمئنان عليهم، ومشاركتهم الأفراح للتهنئة، والأحزان للمواساة وجبر الخاطر، طالما ليس فيها ما يخالف الشرع الحنيف، وقد بينت الشريعة الغراء أنه لا حرج في الأكل معهم طالما اجتنبت الخنازير والخمور؛ قال تعالى:" وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ "(٢).

وقد أجاز الإسلام للمسلم أن يتزوج اليهودية أو النصرانية، وجعل لها من الحقوق ما للزوجة المسلمة؛ قال تعالى" وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ

(١) سورة الممتحنة، آية رقم(٨).

(٢) سورة المائدة، آية رقم(٥).

ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخْدَانٍ "[1] .

ومعلوم أن هذا الزواج يتبعه حق الصهر، وحق النسب، وفي هذا دليل على أن ديننا الحنيف ليس بالدين الذي يدعو إلى القطيعة المانعة من المعاشرة بالمعروف، والتعاون في مناحي الحياة المتعددة.

وكره الإسلام أن يجري المسلم في مخاطبة غير المسلمين مجرى أولئك الذين يتعصبون لمعتقداتهم، فيطلقون ألسنتهم بأذية من يجادلهم من الشرائع الأخرى، فهم وإن كانوا على الباطل، إلا أن الشرع أمر بمجادلتهم بالحسنى ، قال تعالى:" وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ [2]" .

وقال تعالى أيضا:" ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ."[3]

وأجازت الشريعة الغراء كذلك التعامل معهم بالبيع والشراء، وغير ذلك من وجوه التعامل التي لا تخالف الشريعة، فقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي، **فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ»**[4] .

---

(١) سورة المائدة، آية رقم(٥).

(٢) سورة العنكبوت، آية رقم(٤٦).

(٣) سورة النحل، آية رقم(١٢٥).

(٤) **أخرجه البخاري في صحيحه،** كِتَابُ: الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ: مَا قِيلَ فِي دِرْعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقميص في الحرب ٤/٤١/٢٩١٦.

قال الطِيبي:" فيه دليل علي جواز المعاملة مع أهل الذمة، وإن كان مالهم لا يخلو من الربا وثمن الخمر، وقد أجمع المسلمون علي جواز معاملة أهل الذمة، والكفار إذا لم يتحقق تحريم ما معهم(١)."

فالرسول صلى الله عليه وسلم قد اتسمت معاملته لغير المسلمين المسالمين، بالشفقة، وحسن الجوار، والعدل، والإحسان إليهم، وكانت مبنية على أساس من الاحترام المتبادل، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإن خالف في الدين، طالما لا يحارب الله ورسوله، وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من اعتدى عليهم بالسوء أو ظلمهم، أو أخذ حقاً من حقوقهم بأنه حجيجه يوم القيامة، قال صلى الله عليه وسلم:«**أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٢).

---

(١) شرح المشكاة للطيبي" الكاشف عن حقائق السنن" ٧/٢١٦٥/ ٢٨٨٤ ، ط: مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة– الرياض، ط: الأولى ١٩٩٧م، ت/ عبد الحميد هنداوي.

(٢) **أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في سننه**، كِتَاب: الْخَرَاجِ وَالْإِمَارَةِ وَالْفَيْءِ، بَابٌ: فِي تَعْشِيرِ أَهْلِ الذِّمَّةِ إِذَا اخْتَلَفُوا بِالتِّجَارَاتِ٤/٦٥٨/٣٠٥٢ قال: **حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْمَهْرِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ الْمَدِينِيُّ، أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ سُلَيْمٍ، أَخْبَرَهُ عَنْ عِدَّةٍ، مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**...به، ط: دار الرسالة العالمية، ط ١.

الحكم على الحديث: الحديث بهذا الإسناد حسن؛ فيه أبو صخر المديني –حميد بن زياد – وهو صدوق، وباقي رجال الإسناد ثقات، ولا تضر جهالة أبناء الصحابة، **قال الحافظ العراقي** في "التقييد والإيضاح" في معرفة المشهور من الحديث: إسناده جيد، وهو وإن كان فيه من لم يُسمَّ فإنهم عدة من أبناء الصحابة يبلغون حد التواتر الذي لا يشترط فيه العدالة.ينظر: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح١/٢٦٤ لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ط:المكتبة السلفية بالمدينة المنورة"" ط:الأولى ١٩٦٩م، ت/عبد الرحمن عثمان. **وقال السخاوي** : سنده لا بأس به، ولا يضر جهالة من لم يُسمَّ من أنباء الصحابة، فإنهم عدد ينجبرُ به جهالتهم،ولذا سكت عليه أبو داود.المقاصد الحسنة =

قال ابن مَلك الكرماني:" ألا مَنْ ظلم معاهدًا أو انْتَقَصَهُ ": أي: انتقص حقه. "أو كلفه فوق طاقته": بأن أخذ جزيته أكثر مما يطيق أداءه إن كان ذميًا، وفوق عشر مال تجارته إن كان حربيًا جاء للتجارة، وجرى بيننا وبينه عهد" **أو أخذ منه شيئًا بغير طيبة نفس، " فأنا حجيجُهُ يوم القيامة**"؛ أي: محاججه؛ مبالغة في إظهار الحجة عليه، والحجة: الدليل"(١).

والحديث يتضح فيه التحذير الشديد لمن ظلم معاهداً، أو أساء إليه، أو كلفه فوق طاقته، فخصيمه وحجيجه يوم القيامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأي تحذير بعد هذا، وأي وصية بالذمي بعد هذا،

فالنبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نعامل الناس بأخلاق ديننا، وليس بأخلاقهم، وإلا لضاع فينا كل جميل، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم خير قدوة لنا في الإحسان إلى المخالفين، من اليهود المسالمين في المدينة، فكان يقبل هديتهم، ويجالسهم، ويأكل من طعامهم، والسنة النبوية مليئة بالأحاديث الدالة على ذلك، ومن ذلك:

ما جاء عَنْ أَنَسٍ،" أَنَّ يَهُودِيًّا دَعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، فَأَجَابَهُ".

ومن إنسانية الإسلام وعظمته: أنه لم يأمر بالإحسان إلى المخالفين من أهل الكتاب والذمة أحياءً فقط، بل إن الأمر تعدى إلى الأموات كذلك ممن مات على كفره، ولم يؤمن بالله ورسوله!، فجعلت الشريعة التي تجسدت معالمها الرفيعة، وقيمها العالية في رسول الله صلى الله عليه وسلم: الاحترام

=

١٠٤٤/٦١٦/١ لأبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، طـ: دار الكتاب العربي، بيروت، طـ:الأولى ١٩٨٥.

(١) شرح المصابيح لابن ملك الكرماني، ج ٣٠٨٨/٤٧٢/٤، طـ: إدارة الثقافة الإسلامية.

لهذه النفس قائماً، وقد طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر تطبيقاً عملياً:

فعن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ:" كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ:إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ:«أَلَيْسَتْ نَفْسًا [(١)]"

وخلاصة الأمر: أن المسلمين قد استتاروا بسماحة دينهم، وتعلموا من آدابه أن يحسنوا معاشرة أصحاب الشرائع الأخرى، ممن لا يكِيدون لهم كيدًا، ولا يُظَاهِرون عليهم عدوًا، ولا يَنخِرون لهم عظماً، فيستطيعون أن يعيشوا جنبا إلى جنب، يتعاونون في مصالح دنياهم، فسماحة الإسلام، وإنسانية المسلم مع غيره ،كثيراً ما كانت سبباً في هداية غير المسلمين، ودخولهم الإسلام، وخير دليل على ذلك بلاد جنوب شرق آسيا: كماليزيا، وأندونسيا أكبر البلاد الإسلامية تعداداً للسكان، وإمارة بروناي، وغيرها كثير، تأثر الناس فيها بأخلاق التجار المسلمين وإنسانيتهم العالية في التعامل معهم؛ فدخلوا في دين الله أفواجاً .

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه**،كتاب: الجنائز، بَابُ: مَنْ قَامَ لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ ١٣١٢/٨٥/٢، **ومسلم في صحيحه**، كتاب: الجنائز، بَابُ: الْقِيَامِ لِلْجَنَازَةِ ٩٦١/٦٦١/٢.

المطلب الثالث: العفو والصفح

من القيم الإنسانية العظيمة التي طبقها الإسلام تطبيقاً عملياً من خلال رسول الله صلى الله عليه وسلم المعلم الأول لهذه الأمة: خلق العفو والصفح عمن ظلم، فقد كان عفوه صلى الله عليه وسلم يشمل الأعداء فضلاً عن الأصدقاء، وكان صلى الله عليه وسلم من أجمل الناس صفحاً، يتلقى من قومه الأذى، فيصبر ويعفو ويصفح، ثم يعود يدعوهم من جديد وكأن أمراً لم يقع، امتثالاً لأمر الله تعالى:" وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ[1]" **قال الطبري** عند تأويله لهذه الآية:" قوله: " ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ" أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوُّهم، كأنه وليّ حميم. وقوله: "فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ" يقول تعالى ذكره: افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرتك به إليه، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنه من ملاطفتك إياه. وبرّك له، وليّ لك من بني أعمامك، قريب النسب بك، والحميم: هو القريب"[2].

وتتجلى إنسانية الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته وعفوه في مواقف كثيرة جداً منها: عفوه عن المشركين من أهل مكة، الذين أذوه، وأذوا

(١) سورة فصلت آية رقم(٢٤).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٤٧١/٢١.

أصحابه وعذبوهم، وحاربوه، وقاتلوه، وأساءوا الأدب معه صلى الله عليه وسلم،

فقد جاء في السيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة إلى الطائف؛ علّه أن يجد من يؤمن به وبدعوته، جلس بين ظهراني أهل الطائف قرابة العشَرة أيام، وقيل: شهراً، فلم يجد منهم إلا سخريةً واستهزاء به وبدعوته صلى الله عليه وسلم، وبمولاه زيد بن حارثة، خرج من الطائف حزيناً، فأنزل الله تعالى من فوق سبع سموات، جبريل عليه السلام، ومعه ملك الجبال، ليأمره فيهم بما شاء:

فعن عُرْوَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ[1]، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ،لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا "[2].

---

(١) وهِيَ الَّتِي تنْسب إِلَيْهَا جَمْرَة الْعقبَة وَهِي بمنى.عمدة القاري لبدر الدين العيني ١٤٢/١٥ .

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَابُ: بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ: إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ٣٢٣١/١١٥/٤ ، **ومسلم في صحيحه**، كِتَابُ: الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ: مَا لَقِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ١٧٩٥/١٤٢٠/٣ .

فمن تأمل في هذا الحديث لوجد أن أعلى مراتب الإنسانية وأجملها قد وصل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال لجبريل عليه السلام:" **بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّـهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّـهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**" فقد عفا وأصفح عمن ظلمه، ولو أراد أن ينتقم فملك الجبال أرسله الله إليه ليأتمر بأمره، لكنه صلى الله عليه وسلم ما أنتقم لنفسه قط[1] ولكن يعفو ويصفح.

وتجلت إنسانية الرسول صلى الله عليه وسلم كذلك مع المشركين من أهل مكة، حينما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً، وظن المشركون أن النبي صلى الله عليه وسلم سينتقم منهم لا محالة، فقد قاتلوه، واستهزؤا به وبدعوته، وأخرجوه من أحب البلاد إلى قلبه، فلما دخل صلى الله عليه مكة فاتحاً[2] عفا عنهم وأصفح.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خُلقاً، وأعلى الناس مكانةً، فهو أفضل الخلق على الإطلاق، ومع ذلك ربما جاء أعرابي من أجلاف البادية، فأساء الأدب معه، فتجاوز الحد، فاستحق الوعيد وهو القتل، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم المعلم الأول والمربي، كان يعفو ويصفح ويسامح: **فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُنَاسًا فِي القِسْمَةِ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي القِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّـهِ إِنَّ هَذِهِ**

---

(١) **أخرج البخاري في صحيحه**، كتاب: الحدود، باب: إقامة الحدود والإنتقام لحرمات الله ٦٧٨٦/١٦٠/٨ بسنده عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ، فَإِذَا كَانَ الإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْـهُ، وَاللَّـهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ**».

(٢) وكانت غزوة فتح مكة في رمضان من السنة الثامنة للهجرة.

القِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»(١) .

فهذا أعرابي من أجلاف البادية، قد أساء الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورماه بالظلم،– وحاشاه صلى الله عليه وسلم– وهو من هو سيد الأولين والآخرين، معصوم، يوحى إليه من السماء، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن قال له: "**فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**" وعفا عنه وأصفح، ولو قتله لكان حقاً وعدلاً. **قال القسطلاني:**" ولم ينقل أنه عليه الصلاة والسلام عاقبه(٢).

ومن صور عفوه صلى الله عليه وسلم عفوه عن اليهودية التي وضعت له السم في الشاة تريد قتله:

فعَنْ أَنَسٍ،" أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ، قَالَ:

«مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ» قَالَ: – أَوْ قَالَ – «عَلَيَّ» قَالَ قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: «فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»"(٣).

فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد عفا عمن أرادت قتله، فأي إنسانية هذه، التي تحلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه** ، كِتَابُ: فَرْضِ الخُمُسِ، بَابُ: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ وَنَحْوِهِ ٣١٥٠/٩٥/٤ ، **ومسلم في صحيحه،** كتاب: الزكاة، بَابُ: إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ ١٠٦٢/٧٣٩/٢.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني ٢٢٧/٥.

(٣) **أخرجه مسلم في صحيحه،** كتاب: السَّلَامِ، بَابُ: السُّمِّ ٢١٩٠/١٧٢١/٤.

المطلب الرابع: الإنسانية مع الزوجة

لا شك ولاريب أن من أراد أن يعرف طبيعة إنسان وحقيقته، أن ينظر إلى حاله مع أهل بيته، فالوجه الحقيقي للمرء لا يظهر بشكل تام إلا في البيت، فكم من أناس في خارج البيت لطفاء، وفي داخله حمقى وسفهاء، ورسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أجمل الناس وأكملهم، خَلقاً وخُلقاً، في خارج بيته وداخله سواء، لا يُعرف منه إلا الفضل، والكرم، والرحمة، والتواضع، واللطف والمحبة مع أهل بيته، والمعاملة بالحسنى، وهذه قيم إنسانية رفيعة، أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها:

فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي"[1] فخير المؤمنين خيرهم لأهله، فالإنسانية مع الزوجة، والمعاملة بالحسنى والمعروف، خُلق إسلامي لا يعرفه إلا الأتقياء والأصفياء.

قال الشوكاني:" «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ**» فِي ذَلِكَ تَنْبِيهٌ عَلَى أَعْلَى النَّاسِ رُتْبَةً فِي الْخَيْرِ، وَأَحَقُّهُمْ بِالِاتِّصَافِ بِهِ هُوَ مَنْ كَانَ خَيْرَ النَّاسِ لِأَهْلِهِ، فَإِنَّ الْأَهْلَ هُمْ الْأَحِقَّاءُ بِالْبِشْرِ، وَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَالْإِحْسَانِ، وَجَلْبِ النَّفْعِ، وَدَفْعِ الضُّرِّ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ كَذَلِكَ فَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنْ الشَّرِّ، وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ النَّاسُ فِي هَذِهِ الْوَرْطَةِ، فَتَرَى الرَّجُلَ إذَا لَقِيَ أَهْلَهُ كَانَ أَسْوَأَ النَّاسِ أَخْلَاقًا، وَأَشْجَعَهُمْ نَفْسًا، وَأَقَلَّهُمْ خَيْرًا، وَإِذَا لَقِيَ غَيْرَ الْأَهْلِ مِنْ الْأَجَانِبِ، لَانَتْ عَرِيكَتُهُ، وَانْبَسَطَتْ أَخْلَاقُهُ،

---

(١) **أخرجه أبو عيسى الترمذي محمد بن عيسى بن سورة في جامعه،** كتاب: المناقب ، بَابٌ: فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٣٨٩٥/١٩٢/٦ قال: **حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ** ...به وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. طـ: دار الغرب الإسلامي – بيروت– ١٩٩٨م– ت/دكتور بشار عواد.

الحكم على الحديث: الحديث بهذا الإسناد صحيح؛ رجاله ثقات، وسنده متصل.

وَجَادَتْ نَفْسُهُ، وَكَثُرَ خَيْرُهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مَحْرُومُ التَّوْفِيقِ، زَائِغٌ عَنْ سَوَاءِ الطَّرِيقِ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ"(١).

فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد طبق الإنسانية مع الزوجة تطبيقاً عملياً: فكان صلى الله عليه وسلم في مهنتهم ، وخدمتهم، وهو من هو، يوحى إليه من السماء، ثم يعود إلى أهل بيته ليخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويحلب شاته، وهذا من عظيم تواضعه صلى الله عليه وسلم مع أهل بيته وحسن معاملته، وما كان فعله صلى الله عليه وسلم إلا تشريعاً وتعليماً لنا ؛حتى نقتدي به، ونستن بسنته، ونسير على هديه، **فعَنِ الأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ(٢)، قال:**

سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَصْنَعُ فِي البَيْتِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا سَمِعَ الأَذَانَ خَرَجَ»(٣) .

ومهنة الأهل خدمتهم، وقد فسرت عائشة رضي الله عنها هذا الحديث بالحديث الآتي: **فعن هِشَام بْن عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا سُئِلَتْ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: " كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ "(٤) .**

---

(١) نيل الأوطار للشوكاني ٢٤٦/٦ ، ط: دار الحديث،مصر، ط: الأولى ١٩٩٣م.

(٢) **الأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ قَيْسٍ النخعي**، روى عن: أبي بكر وعائشة، وغيرهم من الصحابة، قال العجلي: كوفى تَابِعِيّ ثِقَة جاهلى، ووثقه أحمد، ويحيى بن معين، وغيرهم.الثقات للعجلي ١٠٣/٢٢٩/١، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٠٦٧/٢٩١/٢.

(٣) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَابُ: النَّفَقَاتِ، بَابُ: خِدْمَةِ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ ٥٣٦٣/٦٥/٧.

(٤) **أخرجه الإمام أحمد في المسند** ٢٤٩٠٣/٣٩٠/٤٢ قال: **حَدَّثَنَا عَفَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَهْدِيٌّ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ** ...به

الحكم على الحديث: الحديث بهذا الإسناد صحيح؛ رجاله ثقات، وسنده متصل.

وبلغت الإنسانية في الإسلام تجاه الزوجة مبلغاً عظيماً : حينما حثت الشريعة الزوج على أن يكون رحيمًا بأهله، محسناً إليهم، لطيفاً معهم، مشفقاً عليهم، مصرحاً بحبه لهم، فيمازحهم ويداعبهم، بعد ما كانت المرأة في الجاهلية من جُملة المتاع لا قيمة لها، ولا وزن، ولا يُعرف له حق، وهذا ما طبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم تطبيقاً عملياً تجاه زوجاته، فقد كان صلى الله عليه وسلم يمازح أهله ويضاحكهم، ويتودد إليهم، ويُصرح بحبه لهم، مع ما كان يشغله من أمور الدين والدنيا، فلا يمنعه عن ذلك مانع، ومن ذلك تصريحه صلى الله عليه وسلم بحب عائشة، **فعَنْ أَبِي عُثْمَانَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ عَمْرَو بْنَ العَاصِ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟**

قَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ» فَعَدَّ رِجَالًا، فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ" (١) .

ومن ذلك أيضاً تصريحه صلى الله عليه وسلم بحب خديجة فقال:" «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»(٢) .

ومما جاء في ممازحة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله: " ما رواه عروة بن الزبير، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى» قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: " أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي

---

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَابُ: المَغَازِي، بَابُ: غَزْوَةِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ ٤٣٥٨/١٦٦/٥ ، **ومسلم في صحيحه** كتاب: فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ٢٣٨٤/١٨٥٦/٤.

(٢) **أخرجه مسلم في صحيحه**، كتاب: فضائل الصحابة، بَابُ: فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا ٢٤٣٥/١٨٨٨/٤ جزءا من حديث طويل.

رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لاَ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قُلْتِ: لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ " قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ"(١).

ومن عظيم خلقه وأدبه صلى الله عليه وسلم أنه كان يصبر، ويتحمل الغضب من زوجاته، ويتحمل غيرتهن ولا يجزع، **فعَنْ أَنَسٍ**، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: «غَارَتْ أُمُّكُمْ» ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ المَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ(٢) .

ومن إنسانيته صلى الله عليه وسلم ورحمته، أنه أمر بمعاملة الزوجة بالحسنى، ونهى عن ضربها ومجامعتها؛ حفظاً لكرامتها،

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ اليَوْمِ»(٣) .

فالواجب على المسلم أن يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم تأسياً حقيقياً، يعرف معناه ومغزاه، فرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق الإنسانية مع زوجاته تطبيقاً عملياً، وهذا واضح من خلال ما سبق من الأحاديث، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعامل زوجاته بحب، وإحسان، وعطف، وحنان، ويجبر بخاطرهن، ومن ذلك أيضا ما جاء عَنْ **أَنَسٍ رضي**

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب: النكاح، بَابُ: غَيْرَةِ النِّسَاءِ وَوَجْدِهِنَّ ٥٢٢٨/٣٦/٧.

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه**،كِتَابُ: النِّكَاحِ، بَابُ: الغَيْرَةِ ٥٢٢٥/٣٦/٧ .

(٣) **أخرجه البخاري في صحيحه**،كِتَابُ: النِّكَاحِ، بَابُ: مَا يُكْرَهُ مِنْ ضَرْبِ النِّسَاءِ٥٢٠٤/٣٢/٧ .

الله عنه، قَالَ:" بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ، قَالَتْ: بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَبَكَتْ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَإِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ؟ ثُمَّ قَالَ: اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ"(١) .

فالمتأمل في الحديث يرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جبر بخاطر زوجة صفية جبراً عظيماً، فمن غيرة الضرائر، أن أحداهن ربما حاولت الانتقاص من الأخرى، وذلك من طبيعة النساء، وضعف عقولهن، فذلك واقع لا محالة، وما وقع من السيدة حفصة رضي الله عنها من هذا القبيل، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن أعلى من شأن صفية هذا العلو العظيم؛ جبراً بخاطرها، وأخبرها أنها ابنة نبي، وعمها نبي، وزوجها نبي، فأي شرف بعد ذلك، قد تحوزه امرأة حتى تتفاخر عليها، وهذا من إنسانية رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه زوجته صفية، فعلى المسلم أن يتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم الإنسانية بحق، وأن يرفع من شأن زوجته المؤمنة، وأن يعاملها بإحسان، ولا يفعل ذلك إلا مؤمن قد تعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم الإنسانية الحقيقية.

فمن ادعى أن الإنسانية وإعطاء الزوجة والمرأة حقها، من المعاملة بإحسان ونحو ذلك، أن هذا وليد الحضارة الغربية الحديثة، نقول له: أن هذا مجرد ادعاء، لا دليل عليه ولا برهان، بل إن الواقع المشاهد في

---

(١) **أخرجه الترمذي في جامعه**، كتاب: المناقب، بَابٌ: فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٦/١٩٢/٣٨٩٤ قال: **حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالاَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ**...به وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

الحكم على الحديث: الحديث بهذا الإسناد صحيح؛ رجاله ثقات، وسنده متصل.

الحضارة الغربية الحديثة، يرى أن المرأة عندهم لا تعدو عن سلعة جنسية، تُستغل أسوأ استغلال، طالما كانت صغيرة وجميلة، وكلما كبُرت في السن، كبُرت مذلتها، وضاغت قيمتُها، وهُمشت وضاعت في المجتمع، وعاشت على هامشه، ولا يسأل عنها صغيرُ ولا كبيرُ، وهذا هو الأعم الأغلب في هذه البلاد، أما في الإسلام فمعاني الإنسانية تجاه المرأة معاناً سامية، جميلة كانت أو حتى دميمة، وهذا ما أكد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحاديث التي ذكرناها[١]، فالمرأة في الإسلام كلما كبُرت في السن، كلما زادت العناية بها، والتف أولادها من حولها؛ إرضاءً لها ليكونوا من أهل الجنة،

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:" جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»[٢] .

فالمتأمل في الحديث يرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الوصية بالأم ثلاث مرات، وأفرد الأب، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن العناية بالأم والبر بها، ينبغي أن تكون أضعاف الأب، مع القيام بحق كلاهما.

فهل يوجد في الدنيا من وصى على المرأة، وأمر بالإحسان إليها كرسول الله صلى الله عليه وسلم؟!. فالحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان.

---

(١) والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، لم نذكرها؛ حتى لا يطول البحث.

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَابُ: الأَدَبِ بَابٌ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ ٥٩٧١/٢/٨ ، **ومسلم في صحيحه**، كتاب: الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ: بِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَأَنَّهُمَا أَحَقُّ بِهِ ٢٥٤٨/١٩٧٤/٤.

المطلب الخامس: الإنسانية مع الأبناء

من المعلوم بداهة، أن الإسلام قد أمر الوالدين بتربية أولادهما تربية إسلامية، مستمدة من الكتاب والسنة، وقائمة على الحق والعدل بين الأولاد ، وإعطاء كل ذي حق حقه، وهذا أمر واجب على الوالدين، لا شك فيه ولا خلاف، فإن جاروا أو مالوا عن العدل بين الأولاد، فقد ضيعوا الأمانة التي استودعهم الله إياها، وسوف يُسئلون عما فعلوا يوم القيامة، فقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظلم الأولاد أو تفضيل أحدهما على الآخر بدون وجه حق، ومن ذلك ما جاء عَنِ:

النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَأَلَتْ أُمِّي أَبِي بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ لِي مِنْ مَالِهِ، ثُمَّ بَدَا لَهُ فَوَهَبَهَا لِي، فَقَالَتْ: لاَ أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَنَا غُلاَمٌ، فَأَتَى بِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْنِي بَعْضَ الموهبة لِهَذَا، قَالَ: «أَلَكَ وَلَدٌ سِوَاهُ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأُرَاهُ، قَالَ: «لاَ تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ»[1] .

قال النووي:" وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ أَوْلَادِهِ فِي الْهِبَةِ، وَيَهَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِثْلَ الْآخَرِ، وَلَا يُفَضِّلَ، وَيُسَوِّيَ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: يَكُونُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ، وَالصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ أَنَّهُ يُسَوِّي بَيْنَهُمَا لِظَاهِرِ الْحَدِيثِ، فَلَوْ فَضَّلَ بَعْضَهُمْ أَوْ وَهَبَ لِبَعْضِهِمْ دُونَ بَعْضٍ، فَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَمَالِكٍ، وَأَبِي حَنِيفَةَ: أَنَّهُ مَكْرُوهٌ، وَلَيْسَ بِحَرَامٍ، وَالْهِبَةُ صَحِيحَةٌ، وَقَالَ طَاوُسٌ، وَعُرْوَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَالنَّوْرِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَدَاوُدُ: هُوَ حَرَامٌ، وَاحْتَجُّوا بِرِوَايَةِ:" **لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ**"،

---

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَابُ: الشَّهَادَاتِ بَابٌ: لاَ يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ ٢٦٥٠/١٧١/٣ **ومسلم في صحيحه**، كِتَابُ: الْهِبَاتِ، بَابُ: كَرَاهَةِ تَفْضِيلِ بَعْضِ الْأَوْلَادِ فِي الْهِبَةِ ١٦٢٣/١٢٤٣/٣ .

وَبِغَيْرِهَا مِنْ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ"، وَاحْتَجَّ الشَّافِعِيُّ وَمُوَافِقُوهُ، بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي**"، قَالُوا: وَلَوْ كَانَ حَرَامًا أَوْ بَاطِلًا لَمَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ، فَإِنْ قِيلَ قَالَهُ تَهْدِيدًا قُلْنَا الْأَصْلُ فِي كَلَامِ الشَّارِعِ غَيْرُ هَذَا"(١).

وهكذا الشرع الحنيف دائماً وأبداً، يأمر بالعدل بين الأولاد في العطية، سواءً بسواءٍ، ذكراً كان أو أنثى على الراجح من أقوال العلماء، ومن مال فقد مال عن الحق، واستحق الوعيد من الله.

ومن جميل الخصال الإنسانية التي يتحلى بها الوالد تجاه أولاده: أن يكون حكيماً حليماً في التعامل معهم، وأعني بذلك أن يتحمل من أولاده ما لا يتحمله الكثيرون، ويفعل معهم من جميل الأخلاق ما لا يفعله الكثيرون، ومن ذلك أن يخفض الجناح لأولاده الصغار، فيداعبهم ويلاطفهم، ويُقبلهم، ويحتملهم، ويصبر عليهم، ولا يقطع عليهم مرحهم ولا سعادتهم، ولو كان يصلي، وله في ذلك أسوة، رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد طبق هذه المعاني الإنسانية مع أولاده تطبيقا عملياً:

فعن أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ فَرَكِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَوَضَعَهُ وَضْعًا رَفِيقًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ ضَمَّهُ إِلَيْهِ، وَقَبَّلَهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَنَعْتَ بِالْحَسَنِ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ سَيُصْلِحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

وعن أبي قَتَادَةَ، قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأُمَامَةُ بِنْتُ أَبِي العَاصِ عَلَى عَاتِقِهِ، فَصَلَّى، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَ، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا»(٢) .

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٦٦/١١.

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَابُ: الأَدَبِ، بَابُ: رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ ٥٩٩٦/٧/٨

فالمتأمل في الحديث، يجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغت به الإنسانية، والرحمة، والشفقة، تجاه ولده مبلغاً عظيماً، فهو صلى الله عليه وسلم لا يقطع فرح ولده ومرحه وهو على ظهره، بل يستبطأ في سجوده حتى ينتهي، وهذا أمر قلما تجده من أحد في زماننا هذا تجاه ولده، بل إن الحاصل والواقع الآن، أن الولد الصغير إن فعل هذا مع والده، كان جزاؤه الضرب، والسب، واللعن، إلا ما ندر، فالقُبلة للولد وضمه إلى صدر والده، والحرص على حسن مداعبته وممازحته، خلق إنساني رفيع قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه ولده؛ حتى يعلمنا كيف تكون الإنسانية، والرحمة والشفقة بالولد، ومن ذلك:

ما جاء أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»(١).

وعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»(٢).

قال ابن بطال:"رحمة الولد الصغير، ومعانقته، وتقبيله، والرفق به، من الأعمال التى يرضاها الله ويجازى عليها؛ ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم للأقرع بن حابس، حين ذكر عند النبى أن له عَشَرَةً من الولد ماقبل منهم أحدًا: «**مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ**» فدل هذا على أن تقبيل الولد الصغير، وحمله والتحفى به، مما يُستحق به رحمة الله، ألا ترى حمل النبى عليه السلام أمامة ابنه أبى العاص على عنقه فى الصلاة، والصلاة أفضل

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَابُ: الأَدَبِ، بَابُ: رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ ٥٩٩٧/٧/٨.

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه**،كِتَابُ: لا الأَدَبِ، بَابُ: رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ ٥٩٩٨/٧/٨ .

الأعمال عند الله، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلزوم الخشوع فيها، والإقبال عليها، ولم يكن حمله لها مما يضاد الخشوع المأمور به فيها، وكره أن يشق عليها لو تركها ولم يحملها فى الصلاة، وفى فعله عليه السلام ذلك أعظم الأسوة لنا فينبغى الاقتداء به فى رحمته، صغار الولد، وكبارهم، والرفق بهم، وقد كان عليه السلام يقبل ولده وبخاصة فاطمة، وكان أبو بكر يقبل عائشة، وقد فعل ذلك أكثر أصحاب النبى عليه السلام وذلك على وجه الرحمة"(١).

المطلب السادس : الإنسانية مع الأصحاب

مما لا شك فيه أن التأدب مع الأصحاب، والتواضع لهم، ولين الجانب معهم، والتجاوز عن زلاتهم، والإحسان إليهم، ومناداتهم بأحب الأسماء إليهم، وإنزالهم منازلهم من التكريم والتعظيم، خُلق إسلامي وإنساني رفيع، طبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه تطبيقاً عملياً، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أصحابه حباً جماً، فكان يبدؤهم بالسلام، ويكنيهم ويدعوهم بأحب الأسماء إليهم، وكان صلى الله عليه وسلم يقوم على خدمة أصحابه وهو من هو، سيد الأولين والأخرين:

فقد جاء في الصحيح عن أبي قتادة:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دَعَا بِالْمِيضَأَةِ(٢)، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُبُّ، وَأَبُو قَتَادَةَ يَسْقِيهِمْ، فَلَمْ يَعْدُ أَنْ رَأَى النَّاسُ مَاءَ فِي الْمِيضَأَةِ تَكَابُّوا عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحْسِنُوا الْمَلَأَ كُلُّكُمْ سَيَرْوَى» قَالَ: فَفَعَلُوا، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ حَتَّى مَا بَقِيَ غَيْرِي، وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ثُمَّ صَبَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي: «اشْرَبْ»، فَقُلْتُ: لَا أَشْرَبُ حَتَّى تَشْرَبَ يَا

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢١٢/٩ بتصرف يسير.

(٢)**المِيضَأَةُ**: مِطْهَرَةٌ غَيرُ كَبِيرة يُتَوضَّأُ منها. غريب الحديث للخطابي ١١٤/١، تفسير غريب ما في الصحيحين لابن فتوح١١٢/١.

رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا»، قَالَ: فَشَرِبْتُ، وَشَرِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

فالمتأمل في الحديث يرى مدى تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه، ومدى حرصه على القيام بخدمتهم، حتى أنه صلى الله عليه وسلم سقاهم أولاً، وشرب آخراً، وهو من هو، مع ما هو فيه من ظمأ وتعب، وهذا من عظيم أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتواضعه مع أصحابه، ولا يتأسى بعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مؤمن.

وكان صلى الله عليه وسلم يكره من أصحابه أن يعظموه تعظيم الملوك، والأكاسرة، والقياصرة، أو أن يبالغوا في مدحه:

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أنه سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لاَ تُطْرُونِي(٢)**، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»**(٣)

وكان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه، ويضاحكهم، حتى الصغار منهم: **فعن أنس بن مالك قال:"كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»**(٤).

قال ابن حجر وهو يعدد فوائد الحديث:" وَفِيهِ جَوَازُ الْمُمَازَحَةِ وَتَكْرِيرِ الْمَزْحِ، وَأَنَّهَا إِبَاحَةُ سُنَّةٍ لَا رُخْصَةٌ، وَأَنَّ مُمَازَحَةَ الصَّبِيِّ الَّذِي لَمْ يُمَيِّزْ جَائِزَةٌ،

---

(١) **أخرجه مسلم في صحيحه**، كِتَابُ: الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، بَابُ: قَضَاءِ الصَّلَاةِ الْفَائِتَةِ، وَاسْتِحْبَابِ تَعْجِيلِ قَضَائِهَا ٦٨١/٤٧٢/١ جزءا من حديث طويل.

(٢)**لاَ تُطْرُونِي**: الإطراء الإفراط فِي الْمَدْح وَأَرَادَ لَا تمدحوني بِالْبَاطِلِ.غريب الحديث لابن الجوزي ٣٠/١.

(٣) **أخرجه البخاري في صحيحه**: كِتَابُ: أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا}٣٤٤٥/١٦٧/٤ .

(٤) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب: الأدب، بَابُ: الِانْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ٦١٢٩/٣٠/٨.

وَتَكْرِيرُ زِيَارَةِ الْمَمْزُوحِ مَعَهُ، وَفِيهِ تَرْكُ التَّكَبُّرِ، وَالتَّرَفُّعِ، وَالْفرق بَين كَون الْكَبِير فِي الطَّرِيق فيتواقر، أَوْ فِي الْبَيْتِ فَيَمْزَحُ"(١).

وكان صلى الله عليه وسلم يرفق بمن دخل من أصحابه عليه، ويهون عليه أمره، ومن ذلك: **ما جاء عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: "هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ(٢)"**.

في هذا الحديث الشريف نجد أن الرجل لما وقف أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته رهبة شديدة وخوف، حتى ارتعدت فرائصه، وهذا أمر لا يقع إلا عند شدة الخوف، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يهون عليه أمره ؛ رحمة به، وشفقة عليه، وتواضع له، فقال له:" **هَوِّنْ عَلَيْكَ** " أي: ارفق بنفسك وخفف عليها ولا تخف، "**فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ**" أي: لست من هؤلاء الملوك الجبابرة الذين يتعالون على الناس، فيخافون من بطشهم وأذاهم،" **إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**" ، والقديد هو اللحم المملح المجفف في الشمس، وهذا من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشفقته وأدبه مع أصحابه.

وكان صلى الله عليه وسلم يزور أصحابه، ويعودهم، ويسأل عن أحوالهم، ويشفق عليهم مما نزل بهم من مرض ونحوه، حتى تدمع عيناه:

ومن ذلك:" **ما جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ – وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ اللَّهِ**

(١) فتح الباري ٥٨٤/١٠.

(٢) **القَدِيد**: اللَّحْم المَمْلُوح المُجَفَّف فِي الشَّمْسِ. النهاية ، لابن الأثير الجزري ٢٢/٤.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَتَذْرِفَانِ[1] **– ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ»**[2].

فإعطاء الأصحاب حقهم من التقدير، والتعظيم، وإنزالهم منازلهم، والتجاوز عن زلاتهم، والإحسان إليهم، والتواضع معهم، والفرح لخير أصابهم، ومواساتهم في أحزانهم، خلق إسلامي وإنساني رفيع أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب السابع: الإنسانية مع الفقراء والمساكين

إن من أعظم القيم الإنسانية في الإسلام: أن يكون الإنسانُ رحيماً بأخيه الإنسان، وأن يسعى إلى تفريج همه وكربه، وأن يكون في عونه وحاجته،

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"[3] .

قال النووي:" مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً إِلَى آخِرِهِ"، هُوَ حَدِيثٌ عَظِيمٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالْقَوَاعِدِ وَالْآدَابِ، وَمَعْنَى نَفَّسَ الْكُرْبَةَ أَزَالَهَا، وَفِيهِ فَضْلُ قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ، وَنَفْعِهِمْ بِمَا تَيَسَّرَ مِنْ عِلْمٍ أَوْ مَالٍ، أَوْ مُعَاوَنَةٍ

(١) ذَرَفَتِ العينُ تَذْرِفُ إِذَا جَرَى دَمْعُهَا.النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٥٩/٢.

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَابُ: الجَنَائِزِ، بَابُ: الرَّجُلِ يَنْعَى إِلَى أَهْلِ المَيِّتِ بِنَفْسِهِ ١٢٤٦/٧٢/٢.

(٣) **أخرجه الإمام مسلم في صحيحه**، كتاب: الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ: فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ ٢٦٩٩/٢٠٧٤/٤ .

، أَوْ إِشَارَةٍ بِمَصْلَحَةٍ، أَوْ نَصِيحَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفَضْلُ السِّتْرِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَفَضْلُ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ[١]".

وحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تجسدت فيها المعاني والقيم الإنسانية، تجاه الفقراء والمساكين تجسداً حقيقياً: فهو صلى الله عليه وسلم كان يحنو على الفقير والمسكين، ويرق لأحوالهما، وتأخذه الشفقة والرحمة، لما نزل بهما من مشقة ونصب، وضيق في العيش، ومن ذلك:

ما جاء عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِأَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، {إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: { ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ } «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ – حَتَّى قَالَ – وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ[٢] مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٢١/١٧.

(٢)**الْكَوْمُ:** اَلْكَوْمُ الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢١٠/٤.

الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ،مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم لما رأى هذا الوفد من مضر رق لحالهم، وأخذته الشفقة بهم؛ لما نزل بهم من ضيق في العيش، فخطب صلى الله عليه وسلم في أصحابه، وحثهم على الصدقة على هؤلاء الفقراء والمساكين، فما كان من الصحابة الأبرار إلا أن استجابوا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتصدقوا على هؤلاء المساكين، فسُر رسول الله صلى الله عليه وسلم، "وَأَمَّا سَبَبُ سُرُورِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَفَرَحًا بِمُبَادَرَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَذْلِ أَمْوَالِهِمْ لِلَّهِ، وَامْتِثَالِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِدَفْعِ حَاجَةِ هَؤُلَاءِ الْمُحْتَاجِينَ، وَشَفَقَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَتَعَاوُنِهِمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى"[2]،

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكتف بالتعاطف وحسب تجاه هؤلاء المساكين، الذين أتوا من ديار بعيدة، بل حث أصحابه على مساعدتهم، وهكذا ينبغي على كل إنسان على ظهر البسيطة، أن يعلم أن الإنسانية في الإسلام تجاه الفقير والمسكين، قد سلكت مسلكاً عملياً، تجسد في فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم المعلم الأول لهذه الأمة، ثم سلك الدرب من بعده الصحابة الأبرار، والتابعين لهم بإحسان، وسائر المسلمين.

وإنسانية النبي صلى الله عليه وسلم تجاه الفقير والمسكين، لم تكن إنسانية حسية من خلال جمع المال لهم وحسب، بل وصلت إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير، وذلك: بالتواضع لهم، وجبر خاطرهم، والرفع من شأنهم بين الناس، وممازحتهم، ومن ذلك:

---

(١) **أخرجه مسلم في صحيحه** كتاب: الزكاة، بَابُ: الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ ٢/٧٠٤/١٠١٧.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٧/١٠٣.

ما جاء عَنْ **أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ**[(١)]**، فَيُجَهِّزُهُ**[(٢)] **رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ**[(٣)] **"وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَلَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: أَرْسِلْنِي مَنْ هَذَا، فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟ " فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذًا وَاللهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَكِنْ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ أَوْ قَالَ: " لَكِنْ عِنْدَ اللهِ أَنْتَ غَالٍ "**[(٤)] .

---

(١) أيْ: حَاصِلَةٌ مِمَّا يُوجَدُ فِي الْبَادِيَةِ مِنَ الثِّمَارِ وَالنَّبَاتِ وَالرَّيَاحِينِ وَالْأَدْوِيَةِ وَنَحْوِهَا.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن نور الدين علي بن سلطان القاري ٤٨٨٩/٣٠٦٤/٧، ط: دار الفكر، بيروت.

(٢) أَيْ: يُعِدُّ لَهُ وَيُهَيِّئُ لَهُ أَسْبَابَهُ، وَيُعَوِّضُهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْبَادِيَةِ مِنْ أَمْتِعَةِ الْبُلْدَانِ. المصدر السابق.

(٣) **قَالَ الطِّيبِيُّ:** مَعْنَاهُ: أَنَّا نَسْتَفِيدُ مِنْهُ مَا يَسْتَفِيدُ الرَّجُلُ مِنْ بَادِيَتِهِ مِنْ أَنْوَاعِ النَّبَاتَاتِ، وَنَحْنُ نُعِدُّ لَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْبَلَدِ. الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٣١٤٢/١٠.

(٤) **أخرجه الإمام أحمد في المسند** ١٢٦٤٨/٩٠/٢٠ قال: **حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسٍ**...به وهذا إسناد صحيح؛ رجاله ثقات، وسنده متصل، وقد سبقت ترجمة رجال هذا الإسناد في المطلب الرابع :" الإنسانية مع الزوجة".، **وأخرجه أيضا أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي المعروف بالبزار في مسنده** ٦٩٢٢/٣١٩/١٣ من طريق الحسين بن مهدي، عن عبد الرزاق..به ، **وأبو يعلى في مسنده** ٣٤٥٦/١٧٣/٦ من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل عن عبد الرزاق ...به.

المطلب الثامن: الإنسانية مع العمال والخدم

إن ديننا الحنيف أمرنا أن نعطي كل ذي حق حقه، فلا فرق ولافضل في الإسلام لأبيض على أسود، ولا لعربي على أعجمي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، ولا لغني على فقير، ولا لحاكم على محكوم، ولا لوزير على خفير، إلا بالتقوى والعمل الصالح،

قال تعالى:" ۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ "(١)

وعَنْ أَبِي نَضْرَةَ قال:، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ؟ "، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ(٢)".

فالكل سواء في دولة الإسلام، له ما له من حقوق، وعليه ما عليه من واجبات، لكن المساكين والفقراء من الخدم، والعمال، والأجراء، "والعبيد" فيما مضى من الزمان ربما تجاوز بعض الناس الحد معهم؛ لضعفهم، وقلة حيلتهم، فكانت الحاجة إلى الوصية بهم أعظم، والأمر بالإحسان إليهم أدعى، ومن ذلك: **ما جاء عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَذَكَرَ أَنَّهُ سَابَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ، قَالَ: فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ**

(١) سورة الحجرات، آية(١٣).

(٢) وهذا حديث صحيح، وقد سبق تخريجه ودراسة إسناده، في التمهيد.

كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ»[١] .

قال القاضي عياض:" الحديث: فيه النهى عن التعيير بنقص الآباء، كما نهى عن الفخر بذلك، وأن الكل من فعل الجاهلية[٢]".

وقال ابن حجر:" وَفِي الْحَدِيثِ النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرَّقِيقِ، وَتَعْيِيرِهِمْ بِمَنْ وَلَدَهُمْ، وَالْحَثُّ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَالرِّفْقِ بِهِمْ، وَيَلْتَحِقُ بِالرَّقِيقِ، مَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنْ أَجِيرٍ وَغَيْرِهِ، وَفِيهِ عَدَمُ التَّرَفُّعِ عَلَى الْمُسْلِمِ، وَالِاحْتِقَارِ لَهُ، وَفِيهِ الْمُحَافَظَةُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِطْلَاقُ الْأَخِ عَلَى الرَّقِيقِ، فَإِنْ أُرِيدَ الْقَرَابَةُ فَهُوَ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ؛ لِنِسْبَةِ الْكُلِّ إِلَى آدَمَ، أَوِ الْمُرَادُ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، وَيَكُونُ الْعَبْدُ الْكَافِرُ بِطَرِيقِ التَّبَعِ، أَوْ يَخْتَصُّ الْحُكْمُ بِالْمُؤْمِنِ[٣]".

وكذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضربهم، وعن الاعتداء عليهم بغير حق، ومن ذلك:

ما جاء عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ»، أَوْ «لَمَسَّتْكَ النَّارُ». [٤]

---

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَاب: العِتْقِ، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العَبِيدُ إِخْوَانُكُمْ فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ» ٢٥٤٥/١٤٩/٣ ، **ومسلم في صحيحه**، كِتَابُ: الْأَيْمَانِ، بَابُ: إِطْعَامِ الْمَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ، وَإِلْبَاسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مَا يَغْلِبُهُ ١٦٦١/١٢٨٣/٣ .

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٤٣٣/٥.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٧٥/٥.

(٤) **أخرجه مسلم في صحيحه**،كِتَابُ: الْأَيْمَانِ، بَابُ: صُحْبَةِ الْمَمَالِيكِ،وَكَفَّارَةِ مَنْ لَطَمَ عَبْدَهُ١٦٥٩/١٢٨١/٣.

بل وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اعتدى على مملوك له بغير حق: أن يعتقه، ومن ذلك: **ما جاء عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ، قَالَ: عَجِلَ شَيْخٌ فَلَطَمَ خَادِمًا لَهُ، فَقَالَ لَهُ سُوَيْدُ بْنُ مُقَرِّنٍ: عَجَزَ عَلَيْكَ إِلَّا حُرُّ وَجْهِهَا، «لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ بَنِي مُقَرِّنٍ مَا لَنَا خَادِمٌ إِلَّا وَاحِدَةٌ، لَطَمَهَا أَصْغَرُنَا، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُعْتِقَهَا»**[1].

وبلغت الإنسانية في الإسلام مبلغاً عظيماً: عندما حفظت للعمال والخُدام حقهم، وحذرت من هدر كرامتهم، ورميهم بالباطل بما ليس فيهم، وأن من فعل ذلك من السادة، فقد استحق الوعيد،

فعن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَا، يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ»[2].

في هذا الحديث الشريف، تحذير شديد لمن رمى عبداً من عبيده بالزنا بغير وجه حق، أن الله عزوجل سيقتص منه، ويقيم عليه الحد يوم القيامة، فالإسلام حث على احترام العمال والخُدام، وعلى عدم هدر كرامته، وأن من تعمد ذلك من السادة في الدنيا ، فإن الله تعالى له بالمرصاد يوم القيامة، فليتقي الله، وإلا فلا يلومن إلا نفسه.

والصحابي الجليل أنس بن مالك خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم السيد الآمر، فما ضربه أو نهره يوماً، **فعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ**

---

(١) **أخرجه مسلم في صحيحه**:كِتَابُ: الْأَيْمَانِ، بَابُ:صُحْبَةِ الْمَمَالِيكِ، وَكَفَّارَةِ مَنْ لَطَمَ عَبْدَهُ٣/١٢٧٩/١٦٥٨.

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَابُ: الحُدُودِ، بَابُ: قَذْفِ العَبِيدِ ٨/١٧٥/٦٨٥٨، **ومسلم في صحيحه**، كِتَابُ: الْأَيْمَانِ، بَابُ: التَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَا ٣/١٢٨٢/١٦٦٠.

وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، أَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَنَسًا غُلَامٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ، قَالَ: " فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ: لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟ "(١).

وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعطي الأجير حقه، وحذر من ظلمه وأكل حقه، بأنه خصيمه يوم القيامة، ومن ذلك: ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ** (٢)".

فأي إنسانية هذه التي حفظت للأجير الحق في المعاملة بإحسان، فلا سب، ولا ضرب، ولا لعن، بل كان الأمر بإعطائه حقه قبل أن يجف عرقه، إنها إنسانية الإسلام ورحمته.

---

(١)**أخرجه البخاري في صحيحه:** كِتَابُ: الوَصَايَا، بَابُ: اسْتِخْدَامِ اليَتِيمِ فِي السَّفَرِ وَالحَضَرِ، إِذَا كَانَ صَلاَحًا لَهُ، وَنَظَرِ الأُمِّ وَزَوْجِهَا لِلْيَتِيمِ ٢٧٦٨/١١/٤، **ومسلم في صحيحه:** كتاب: الْفَضَائِلِ، بَابُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا ٢٣٠٩/١٨٠٤/٤ .

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه:** كِتَابُ: الإِجَارَةِ، بَابُ: إِثْمِ مَنْ مَنَعَ أَجْرَ الأَجِيرِ ٢٢٧٠/٩٠/٣.

المطلب التاسع: الإنسانية مع العصاة والمذنبين

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خَلقاً وخُلقاً، يعاملُ الناسَ بالرحمةِ، والرأفةِ، والشفقةِ، فلا يشتد عليهم ولا يغلظ، وما غضب لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله، قال تعالى:

" فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ"(١) .

قال الطبري في تأويل هذه الآية:" فبرحمة الله يا محمد، ورأفته بك، وبمن آمن بك من أصحابك" لِنتَ لَهُمْ "، فسُهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقك، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمَه، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك، ولم يتَّبعك ولا ما بُعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة من الله لنت لهم"(٢).

فإذا وقع ذنب من أحدهم، أرشده صلى الله عليه وسلم بالتي هى أحسن، ولم ينهره، فهو صلى الله عليه وسلم ما بعث إلا مربياً معلماً، يهدي الناس إلى الصراط المستقيم، ومن ذلك: ما ورد من أن شاباً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الزنا، وكاد الصحابة أن يفتكوا به، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن قال لأصحابه دعوه لي، فلم يسبه، ولم يشتد عليه، ولم ينهره، بل صبر على طيشه، وخفة عقله، وتحدث معه بالحكمة والعقل، وأخذ يناقشه ويحاوره حتى أرشده إلى

(١) سورة آل عمران، آية رقم(١٥٩).

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ٣٤١/٧.

الحق، بل وزاد النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك أن دعا له بمغفرة ذنبه، وتطهير قلبه، وتحصين فرجه، وهذا فيه ما فيه من التكريم.

فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: " ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا " قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ : فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ(١).

---

(١) **أخرجه الإمام أحمد في المسند** ٢٢٢١١/٥٤٥/٣٦ قال: **حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا حَرِيزٌ، حَدَّثَنَا سُلَيْمُ ابْنُ عَامِرٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ**...به، **والطبراني في "الكبير** ٧٦٧٩/١٦٢/٨ من طريق أبي اليمان الحكم بن نافع، عن حريز بن عثمان...به، **والطبراني في مسند الشاميين أيضا** ١٠٦٦/١٣٩/٢، من طريق أبي المغيرة عن حريز ابن عثمان..به، طـ: مؤسسة الرسالة، بيروت، طـ: الأولى ١٤٠٥ هـ، ت/ حمدي السلفي.

وأبو بكر البيهقي في شعب الإيمان ٥٠٣٢/٢٩٥/٧ من طريق مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الدَّقِيقِيُّ، عن يَزِيد.. به

دراسة إسناد الإمام أحمد

١- **يزيد بن هارون بن زاذي** ، ويُقال: ابْن زاذان، بْن ثابت السلمي، وهو ثقة؛ وثقه أبو حاتم، وأحمد بن حنبل، وابن معين، وابن المديني، والعجلي، وجماعة. ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٢٥٧/٢٩٥/٩ ، تهذيب الكمال ٧٠١٦/٢٦١/٣٢ .

٢- **حريز بن عُثْمَان الرَّحبِي**، إمام ثقة؛ وثقه العجلي، وابن أبي حاتم، وابن معين، والذهبي، وجماعة. ينظر: الثقات للعجلي ٢٨٣/٢٩١/١ ، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١٢٨٨/٢٨٩/٣، الكاشف ٩٨٥/٣١٩/١.

=

وهذا أعرابي من أجلاف المدينة، لا يعرف عن طبيعة المدينة شيئاً، ولا يعرف عن حق المسجد شيئاً، يأتي إلى المسجد فيبول فيه، فيتناوله الناس فينهى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يوبخوه، ويزجروه، بل ونهى أصحابه أن يقطعوا على هذا الأعرابي بولته، وانتظر حتى انتهى الرجل منها، وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يريقوا عليها ذنوباً من ماء، ثم دعا الأعرابي فلم يعنفه، ولم يوبخه، ونصحه بالحسنى، وأخبره أن المساجد لا يصلح فيها شيء من هذا، وإنما هي لذكر الله وقراءة القرآن، وهذا من حسن خلقه صلى الله عليه وسلم ولطفه بالمخطئين ،

فعن عُبَيْد اللَّـهِ بْنُ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ عُتْبَـةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ ليَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[1].

قال القاضي عياض:" قوله: **إنما بُعِثْتُم مُيَسِّرين ولم تُبعثوا معسِّرين** "وهذا يُبِّين أن مقصِده الرفقُ بالجاهل، والنهى عن الجفاء والأغلاظ "[2].

فدائماً وأبداً كان حال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المخطئين والعصاة النصح والإرشاد، والتوجيه بالتي هي أحسن، وكان نصحه صلى

=

٣- **سُلَيْمُ بنُ عَامِرٍ الكَلاَعِيُّ الخَبَائِرِيُّ** ، وَثَّقَهُ: ابن سعد، والعِجْلِيُّ، والنسائي، ويعقوب بن سفيان، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: لاَ بَأْسَ بِهِ.، تهذيب الكمال ٢٤٨٧/٣٤٤/١١.

٤- **صدي بن عجلَان بن وهب بن عَمْرو، أَبُو أُمَامَة البَاهِلِيّ**(صحابي جليل). ينظر: الاستيعاب ٧٣٦/٢،أسد الغابة ٢٤٩٧/١٥/٣.

الحكم على الحديث:الحديث بهذا الإسناد صحيح؛ رجاله ثقات، وسنده متصل.

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه،** كتاب: الأدب، بَابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا» ٦١٢٨/٣٠/٨ .

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٠٧/٣.

الله عليه وسلم نصح المعلم والمربي للجميع، فإذا ما أخطأ أحد بعينه، وبلغه عنه أمر يكره، ستره بين أصحابه، فكان الخطاب على عمومه، فقد ورد في السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:" **ما بال أقوام**" وهذا من عظيم أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنسانيته العالية مع أصحابه.

المطلب العاشر: الإنسانية مع الأعداء

من المعلوم بداهة: أن المتأمل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد أن جميع معاملاته، وتشريعاته مع الناس قاطبة، تتجلى منها المعاني الإنسانية الرفيعة، وتعلي من قيمة الإنسان ومكانته، فالإنسان هو خليفة الله في الأرض خلقه وكرمه، قال تعالى" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً "(١)

وقال " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ "(٢) **وانطلاقاً من تكريم المولى تعالى للإنسان، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعامل مع أعدائه بأسمى معاني الإنسانية في ديننا:** فلم يتربص بهم في يوم من الأيام، ولم يكن راغباً في الخلاص منهم في يوم من الأيام، بل كان حريصاً كل الحرص على حياتهم، فلم يبدأهم صلى الله عليه وسلم يوماً بقتال، بل كانوا هم المعتدون دائماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وظل النبي صلى الله عليه وسلم صابراً على أذى قومه سنين عديدة، حتى أُذن له بقتال أعدائه، قال تعالى:" وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ "(٣).

(١) البقرة آية(٣٠).
(٢) الإسراء آية(٧٠).
(٣) البقرة آية(١٩٠).

فكان الإذن الإلهي بقتال أعدائة، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفعل مع أعدائه ما فعلوه معه، بل تجلت منه صلى الله عليه وسلم أسمى معاني الإنسانية تجاههم، ومن ذلك: لما أسرى النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر سبعين رجلاً من المشركين ممن أساءوا إليه وآذوه، وعذبوا أصحابة قرابة ثلاثة عشر عاماً، قال لأصحابه:

" اسْتَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا " فعَنْ أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ، أَخِي مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: كُنْتُ فِي الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْتَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا وَكُنْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانُوا إِذَا قَدَّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ أَكَلُوا التَّمْرَ وَأَطْعَمُونِي الْخُبْزَ بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُمْ»(١).

فهذه الكلمات الطيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم "**اسْتَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا**" تفيض منها أسمى المعاني الإنسانية، رجال أتوا لقتاله وقتال أصحابه، وللقضاء عليه وعلى دعوته، فلما وقعوا تحت يديه، وتحت حد

---

(١) **أخرجه الطبراني في الكبير** ٩٧٧/٣٩٣/٢٢ قال: **حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَطَّارُ الْمِصِّيصِيُّ، ثنا شَبَابٌ الْعُصْفُرِيُّ، ثنا بَكْرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي نُبَيْهُ بْنُ وَهْبٍ، عَنْ أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ**...به **وأخرجه في المعجم الصغير** أيضا ٤٠٩/٢٥٠/١ بإسناد الكبير وقال: لَا يُرْوَى عَنْ أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ. ط: المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط: الأولى ١٤٠٥هـ **وأبو نُعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في معرفة الصحابة** ٦٩١٨/٢٩٦٧/٥ ، قال: حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ الْحَسَنِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، ثنا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَيُّوبَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ.. به

الحكم على الحديث:

الحديث بهذا الإسناد عند الطبراني فيه:الحسين بن علي العطار لم أقف له على جرح ولا تعديل، وباقي رجال الإسناد بين ثقة وصدوق، والحديث جاء عند أبي نُعيم من طريق إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن ابن اسحاق...به وهو إسناد حسن، فيه محمد بن يحيى المروزي ، وأحمد بن محمد بن أيوب، ومحمد بن إسحاق، وحديثهم حسن، وباقي رجال الإسناد ثقات.

سيفه، أوصى بهم خيراً، ثم من عليهم، وقبل منهم الفداء؛ لعلهم يؤمنوا به وبدعوته في يوم من الأيام فتكون النجاة لهم في الدنيا، والسعادة في الآخرة، وفي هذا إعلاء لمعاني الإنسانية، وتجسيد حقيقي لمكارم الأخلاق مع الأعداء، فلم يكن صلى الله عليه وسلم في يوم من الأيام متعطشاً للدماء، بل كان سائر حاله العفو والصفح والتسامح مع أعدائه، إلا ما ندر من عدو أساء إلى الإسلام إساءةً بالغةً، فاستحق الردع والقتل.

ومن صور الإنسانية في الإسلام تجاه الأعداء: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أصحابه عند لقاء العدو عن قتل الشيوخ، والنساء، والصبيان، والذراري، ومن يشتغل في حقله من الفلاحين ولا يُشارك بقتال، وكذا الأعمى، ومن به علة من مرض ونحوه تمنعه عن القتال فلا يجوز التعرض له بحال من الأحوال،

قال تعالى:" وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ [(١)]"

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية:" أَيْ: قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا تَعْتَدُوا فِي ذَلِكَ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: ارْتِكَابُ الْمَنَاهِي، كَمَا قَالَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مِنَ الْمَثُلَةِ، وَالْغُلُولِ، وَقَتْلِ النِّسَاءِ، وَالصِّبْيَانِ وَالشُّيُوخِ، الَّذِينَ لَا رَأْيَ لَهُمْ وَلَا قِتَالَ فِيهِمْ، وَالرُّهْبَانِ وَأَصْحَابِ الصَّوَامِعِ، وَتَحْرِيقِ الْأَشْجَارِ، وَقَتْلِ الْحَيَوَانِ لِغَيْرِ مَصْلَحَةٍ[(٢)]" .

فالمتأمل في الآية الكريمة يجد أن الإسلام جعل القتال في مُقابلة القتال، ونهى عن الاعتداء بغير حق، وبين أن من لا يُقاتِل لا يُقتل، وحين

(١) البقرة آية(١٩٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ٣٨٧/١ ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ، ت/محمد شمس الدين.

وجد النبي صلى الله عليه وسلم امرأة في غزوة من الغزوات مقتولة، أنكر ذلك، **فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:" وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، «فَنَهَى رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»**[1].

ومن صور الإنسانية في الإسلام تجاه الأعداء أيضا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أصحابه عن قطع الأشجار، وتخريب الديار، وهدم الصوامع ودور العبادة لغير المسلمين، ونهاهم عن التعرض للرهبان مالم يقاتلوهم: **فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا**[2]" .

ومن إنسانية الإسلام وعظمته مع الأعداء أنه كما حفظ لهم الحق في الحياة فلا قتل إلا بقتال، حفظ لهم حقهم من احترام إنسانيتهم: فلا تعذيب، ولا تجويع، ولا ضرب، ولا إهانة، حتى ولو كان مساقاً إلى الموت، ومع ذلك قد نرى في زماننا هذا من يدعي أن كرامة الأسير وحقوقه، لم تعرف إلا في عصرنا هذا: وذلك من خلال القوانين الدولية التي وضعت في القرن العشرين، وهذا كلام مردود عليه، **فشريعة الإسلام هي أول من جعلت للأسير حقوقاً**، وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع

---

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَابُ: الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ: قَتْلِ النِّسَاءِ فِي الحَرْبِ٤/٦١/٣٠١٥، **ومسلم في صحيحه**، كِتَابُ: الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ: تَحْرِيمِ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ فِي الْحَرْبِ ٣/١٣٦٤/١٧٤٤.

(٢) **أخرجه مسلم في صحيحه**، كِتَابُ: الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ: تَأْمِيرِ الْإِمَامِ الْأُمَرَاءَ عَلَى الْبُعُوثِ، وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِآدَابِ الْغَزْوِ وَغَيْرِهَا ٣/١٣٥٧/١٧٣١ جزءا من حديث طويل.

المشركين، فمن وقع في الأسري من المشركين جعل الإسلام معاملته خاضعة لنظام إلهي محكم، وتشريع رباني حكيم، فلا يجوز تحت أي حال من الأحوال التعدي عليه، أو تجاوزه، مهما كانت الضغوط النفسية المتولدة من هذه الحرب، التي وقع في الأسرى فيها، ومهما كانت دوافع الانتقام والثأر عند هذا المسلم الذي أسره؛ لأن أحكام الله لا يجوز أن يتحداها، أو يتعداها أحدُ؛ وإلا كان من الظالمين، وقد وضع الفقهاء في الإسلام أوصافاً لمن يجوز أسره، وكذلك وضعوا شروطاً لوقوع الأسر، حتى أصبح له نظام وحدود،

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء(١).

كما قرر الإسلام بعدالته وسماحته، ورحمته: أنه يجب أن يعامل الأسير بالتي هي أحسن، وأمر المسلمين بعدم إهانته، أو ضربه، أو إذلاله، أو تعذيبه ولو كان قاتلاً.

قال الكاساني:" وَإِذَا عَزَمَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى قَتْلِ الْأَسَارَى، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبُوهُمْ، بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ التَّعْذِيبِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ تَعْذِيبٌ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ (٢)".

ومن إنسانية الإسلام ورحمته تجاه الأسير:" أن الإسلام قد قرر له كسوة لائقة تقيه حر الصيف، وبرد الشتاء، وعنون البخاري في صحيحه، باباً باسم باب:" **الكسوة للأسير**" فدل ذلك على أن للأسير في الإسلام حق في لباس يكفيه، برد الشتاء وحر الصيف؛ فيصون به جسده، ويحفظ له كرامته: **فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْم بَدْرٍ أُتِيَ بِأُسَارَى، وَأُتِيَ بِالعَبَّاسِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ، «فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ**

(١) سبق ذكر الحديث الدال على هذا، وتخريجه في أول هذا المطلب.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ١٢٠/٧ لأبي بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ قَمِيصًا، فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ يَقْدُرُ عَلَيْهِ، فَكَسَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُ، فَلِذَلِكَ نَزَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَمِيصَهُ الَّذِي أَلْبَسَهُ"(١).

ومن المعاني الإنسانية العظيمة في الإسلام: الوفاء بالعهد حتى مع الأعداء، وهذا خلق إسلامي رفيع، لا نجده إلا في دولة الإسلام، ومن ذلك:

فالوفاء بالعهد حتى مع الأعداء خلق إسلامي وإنساني رفيع أكده رسول الله صلى الله بقوله:«**مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَلَا يَشُدُّ عُقْدَةً وَلَا يَحُلُّهَا، حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا، أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ**»(٢)".

ومن المعاني الإنسانية العظيمة في الإسلام تجاه الأعداء: العفو والصفح عنهم، ولو كان قاتلا تربص بك، ومن ذلك: ما جاء عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: " إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: الكِسْوَةِ لِلْأُسَارَى٤/٦٠/٣٠٠٨.

(٢) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب:الجهاد، باب: الإمام يكون بينه وبين العدو عهدٌ فيسير إليه٤/٣٨٨/٢٧٥٩ قال: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ النَّمَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي الْفَيْضِ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ قَالَ: كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ الرُّومِ عَهْدٌ وَكَانَ يَسِيرُ نَحْوَ بِلَادِهِمْ حَتَّى إِذَا انْقَضَى الْعَهْدُ غَزَاهُمْ، فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ أَوْ بِرْذَوْنٍ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَفَاءٌ لَا غَدَرَ، فَنَظَرُوا فَإِذَا عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: من كان بينه... الحديث" ثم قال في آخره: فَرَجَعَ مُعَاوِيَةُ.

الحكم على الحديث:الحديث بهذا الإسناد صحيح؛ رجاله ثقات، وسنده متصل.

فِي يَدِهِ صَلْتًا[١]، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ، – ثَلاَثًا – " وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ "[٢].

فلو أن حاكما من الحكام على ظهر الأرض، تربص به من أراد قتله، ثم ظفر به الحاكم، لكان مصيره التنكيل والقتل لا محالة، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم النعمة المسداة، والرحمة المهداة، يعفو ويصفح، حتى عمن أراد قتله، فيالها من إنسانية عالية، وأخلاق رفيعة، لا تصدر إلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بلغت إنسانيته ورحمته حد الكمال.

وخلاصة الأمر: أن الإنسانية مع الأعداء عند المسلمين، قد بلغت مداها انطلاقاً من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأسياً به، والناظر في الفتوحات الإسلامية، يجد أن المسلمين في هذه الفتوحات على مدى التاريخ، قد ساروا على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينقضوا عهداً، ولم يغدروا، ولم يقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأةً، ولا راهباً في صومعته، ولا فلاحاً في أرضه، ولا عاجزاً ، ولا مجنوناً، ولا من به علة منعتة عن القتال، ولا أهلكوا حرثاً ولا نسلاً، ولا قطعوا شجراً من غير حاجة، ولا ردموا بئراً يشرب الناس منه فساداً وإفساداً، فقد كانوا هداة مصلحين، ولم يكونوا خونة مُهلِكين، وكانت الرحمة، والعدالة، والإنسانية معهم أينما ذهبوا وحلوا، من أجل هذه الإنسانية العالية، والأخلاق الفاضلة، دخل الناس في دين الله أفواجاً.

---

(١) **وَهُوَ فِي يَدِه صَلْتاً**: أَيْ: مُجَرَّداً. يُقَال:أَصْلَتَ السّيفَ إِذَا جَرَّدَه مِنْ غِمْدِه. وضَرَبَهُ بالسَّيف صَلْتا وصُلْتا. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري ٣/٤٥.

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه**،كِتَابُ: الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ: مَنْ عَلَّقَ سَيْفَهُ بِالشَّجَرِ فِي السَّفَرِ عِنْدَ القَائِلَةِ ٤/٣٩/٢٩١٠ . **ومسلم في صحيحه**، كتاب: الْفَضَائِلِ، بَابُ: تَوَكُّلِهِ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَعِصْمَةِ اللهِ تَعَالَى لَهُ مِنَ النَّاسِ٤/١٧٨٦/٨٤٣.

المطلب الحادي عشر: الإنسانية مع الحيوان[١]

إن ديننا الحنيف أعطى كل ذي حق حقه، حتى ولو كان حيواناً، فلا يحق للمسلم بأي حال من الأحوال أن يعتدي على حيوان آمن بغير حق.

قال تعالى:" وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ "[٢].

قال قتادة:" الطَّيْرُ أُمَّةٌ ، وَالإِنْسُ أُمَّةٌ، وَالْجِنُّ أُمَّةٌ"[٣] **وقال السُّدِّي:**"أُمَمٌ أَمْثَالُكُم": خَلْقٌ أَمْثَالُكُمْ"[٤] .

وقد بلغت الإنسانية في الإسلام تجاه الحيوان مبلغاً عظيماً؛ حيث إن الشرعية الغراء قد ضمنت للحيوان الحق في الحياة، وحذرت من اعتدى عليه بغير حق عامداً متعمداً، بالعذاب ، ومن ذلك:

ما جاء عَنْ **عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ» قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ: «لاَ أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلاَ سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلاَ أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا، فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»**[٥].

---

(١) **وأسميتها إنسانية مع الحيوان:** باعتبار أن الإسلام أمر المسلم أن يعامل الحيوان بجميل الخصال الإنسانية من رفق، ورحمة، وعدم تجويع، وتحميله ما لا يطيق، ونحو ذلك.

(٢) سورة الأنعام، آية رقم(٣٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ١٢٨٦/٤، طـ: مكتبة نزار، مصطفى الباز، السعودية، طـ: الثالثة ١٤١٩هـ.

(٤) المصدر السابق.

(٥) **أخرجه البخاري في صحيحه:** كِتَاب: المُسَاقَاةِ، بَابُ: فَضْلِ سَقْيِ المَاءِ ٢٣٦٥/١١٢/٣ .

هذا الحديث الشريف فيه من الفوائد الكثير منها: أن للحيوان الحق في الحياة آمنا مطمئناً؛ طالما لم يكن من الحيوانات التي أمرت الشرعية بقتلها، لعلة علمها من علمها، وجهلها من جهلها، ومنها: أن من عذب حيواناً أو قتله بغير حق، فقد اقترف ذنباً ، ومنها: **مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ** ، فكما لم ترحم هذه المرأة الهرة، وحرمتها من حق الحياة، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها، حرمها الله تعالى كذلك من رحمته، ومن دخول جنته، وأدخلها النار، فالجزاء من جنس العمل.

فالإسلام جعل الرفق بالحيوان، والرحمة به، سبباً من أسباب دخول الجنة؛ فالرحماء يرحمهم الرحمان، فقد ورد في السنة أن رجلاً دخل الجنة؛ لأنه سقى كلباً:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى[(١)] مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، فَسَقَى الكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ[(٢)] فَغَفَرَ لَهُ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْر"[(٣)]".

قال ابن عبد البر:" الحديث دليل على أن الإساءة إلى البهائم والحيوان لا يجوز، ولا يحل، وأن فاعلها يأثم فيها؛ لأن النص إذا ورد بأن

---

(١) **يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ:** أَيِ: التُّراب النَّديّ. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢١١/١.

(٢) **ومعنى شكر الله له:** يحتمل: ثوابه على فعله وجزاؤه عليه، ويحتمل: ثناؤه عليه لذلك. وقيل: قبل عمله ذلك. إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٨٠/٧.

(٣) **أخرجه البخاري في صحيحه،** كِتَابُ: الأَدَبِ، بَابُ: رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ ٦٠٠٩/٩/٨. **ومسلم في صحيحه،** كتاب: السلام، بَابُ: فَضْلِ سَاقِي الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا ٢٢٤٤/١٧٦١/٤.

في الإحسان إليهن أجراً وحسنات، قام الدليل بأن في الإساءة إليهن وزراً وذنوباً، والله يعصم من يشاء، وهذا ما لا شك فيه ولا مدفع له"[1].

وجاء في السنة أيضا أن بغياً سقت كلباً، فغفر الله لها وأدخلها الجنة: **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»**[2].

فهذا رجل يمشي في الصحراء، يشتد عليه العطش، حتى كاد يهلكه، أخذ يبحث عن ماء، فوجد بئراً، فنزل فشرب، فلما خرج من البئر وجد كلباً يلهث، ويخرج لسانه جافاً من شدة العطش يلعق بلسانه التراب؛ لعله يجد فيه رطوبة تخفف عنه جفاف اللسان والعطش، فقال الرجل: لقد بلغ العطش بهذا الكلب مثل ما بلغ بي، فنزل البئر ثانية، فلم يجد ما يرفع به الماء للكلب سوى خفه، فملأ واحداً من خفيه، وأمسكه بفمه، ليتمكن من الصعود من البئر بيديه، حتى خرج من البئر، فسقى الكلب حتى روي، فشكر الله لهذا الرجل إحسانه إلى الكلب، فغفر له ذنوبه.

وهذه امرأة بغي " زانية"، ترى كلباً يلهثُ من العطش، فتأخذها الشفقة على الكلب فتخلع حذاءها، وتملؤه ماءً، وتسقي به الكلب، فشكر الله لها، فغفر لها زناها.

والظاهر من الحديثين والله تعالى أعلم: أن الله تعالى قد غفر لهما؛ لأنهما تحلى بخلق عظيم تجاه هذا الحيوان المسكين، وهو الرحمة، فلما رحماه؛ رحمهما الله تعالى، وغفر لهما، وأدخلهما الجنة؛ لأن الجزاء من

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٨/٢٢.

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كِتَابُ: أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ: حَدِيثِ الغَارِ ٣٤٦٧/١٧٣/٤، **ومسلم في صحيحه**، كتاب: السلام، بَابُ: فَضْلِ سَاقِي الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا ٢٢٤٥/١٧٦١/٤.

جنس العمل، **فمن يرحم يُرحم**، والمولى تعالى يقول:" هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ "(١) ومن أصدق من الله تعالى قيلاً.

وقد عاتب المولى تعالى نبياً من أنبيائه؛ لما تجاوز الحد المطلوب، وقتل قريةً من النمل حرقاً انتقاماً ؛ لأن نملةً قرصته، فأخبره تعالى أن النملة التي قرصته كان يكفي حرقها وحدها، **فعن أبي هريرة رضي الله عنهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " قَرَصَتْ نَمْلَـةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَـةِ النَّمْلِ، فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّـهُ إِلَيْـهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَـةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ "(٢)**. وفي هذا الحديث إشارة إلى النهي عن قتل الحيوان بدون وجه حق.

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الإنسانية، كان يأمر أصحابه بالرحمة بالحيوان، والشفق به، وكان يعتبر هذا الحيوان كيانًا معتبرًا وأمةً من الأمم سخرها الله تعالى لنا، فلا يجوز لنا أن نجوعه أو نعطشه، أو نحملها من العمل فوق طاقتها، ومن ذلك:

ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: " أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِـهِ أَحَدًا من النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّـهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِـهِ(٣) هَدَفًا، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ من الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِـيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَـاهُ(٤)، فَأَتَـاهُ النَّبِـيُّ صَلَّى اللهُ

(١) سورة الرحمن، آية رقم(٦٠).

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب: الجهاد، بَابٌ: إِذَا حَرَّقَ المُشْرِكُ المُسْلِمَ هَلْ يُحَرَّقُ ٣٠١٩/٦٢/٤. **ومسلم في صحيحه**، كتاب: السَّلَامِ، بَابُ: النَّهْيِ عَنْ قَتْلِ النَّمْلِ ٢٢٤١/١٧٥٩/٤.

(٣) أي: عند قضاء حاجته من بول أو غائط.

(٤) **ذرفت عيناه** فمعناه: قطرت دموعهما قطراً ضعيفاً. التمهيد ١٠/٢٢.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ[1] فَسَكَتَ، فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟، لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟»، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ"[2].

---

(١) **الذِفْري**، هو الموضع الذي يَعْرَقُ من البعير خلف الاذن.الصحاح للجوهري ٦٦٣/٢ .

(٢) **أخرجه أبو داود في سننه**، كتاب: الجهاد، بَابُ: مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الدَّوَابِّ وَالْبَهَائِمِ٢٥٤٩/٢٣/٣ قال: **حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا مَهْدِيٌّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي يَعْقُوبَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعْدٍ مَوْلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ**...به، **والإمام أحمد في المسند** ١٧٥٣/٢٨١/٣ من طريق وَهْبُ ابْنُ جَرِيرٍ عن أبيه، عن مُحَمَّدَ بن عبد الله بْنَ أَبِي يَعْقُوبَ ...به ، **وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني** ٤٣٧/٣١٤/١ من طريق عبد الله بن محمد بن أسماء عن مهدي بن ميمون...به، **وأبو عوانة الإسفراييني في مستخرجه** ٤٩٧/١٦٨/١ من طريق عارم، وحَبَّانُ، عن مهدي بن ميمون ...به،ط: دار المعرفة، بيروت. **وأبو جعفر الطحاوي في شرح مشكل الآثار**، بَابُ: بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَرْكِهِ مَالِكَ الْبَعِيرِ الَّذِي اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّهُ يُجِيعُهُ وَيُدْئِبُهُ فِي الْعَمَلِ بِتَرْكِ أَخْذِهِ إِيَّاهُ بِعَلَفِهِ ٥٨٤٢/٦٣/١٥ ، من طريق أسد بن موسى، عن مهدي بن ميمون ...به، ط:مؤسسة الرسالة، ط: الأولى **والحاكم في المستدرك كتاب الجهاد** ٢٤٨٥/١٠٩/٢ من طريق عبيد الله بن موسى عن مهدي بن ميمون ...به **وقال الذهبي في التلخيص**:صحيح.

دراسة إسناد أبي داود:

١- **موسى بن إسماعيل أبو سلمة التبوذكي**: وخلق، وهو ثقة؛ وثقه ابن سعد، والعجلي، وابن معين، وأبو حاتم، والذهبي، وجماعة. ينظر: الثقات للعجلي ١٨١٠/٣٠٣/٢، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦١٥/١٣٦/٨، سير أعلام النبلاء ٩٣./٣٦٠/١٠

٢- **مهدي بن ميمون**: وهو إمام ثقة، سبقت ترجمته في المطلب الرابع: الإنسانية مع الزوجة.

٣- **مُحَمَّد بْن عَبد اللَّهِ بْن أَبي يعقوب التميمي الضبي البَصْر** إمام ثقة؛ وثقه يحيى بن معين، والنسائي، وأبو حاتم، وابن حجر، وجماعة، .ينظر: تهذيب الكمال ٥٣٨١/٥٧٣/٢٥ ،

٤- **الْحَسَن بن سعد بن معبد القرشي الهاشمي الكوفي**: وهو ثقة؛ وثقه العجلي، والنسائي، وابن نمير، وذكره ابن حبان في الثقات. ينظر: تهذيب الكمال ١٢٣٢/١٦٣/٦.

٥- **عبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب (صحابي جليل)**الإصابة ٤٦٠٩/٣٥/٤.

الحكم على الحديث:

=

قال الطحاوي:" وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ مِنَ الْفِقْهِ، اخْتَلَفَ أَهْلُ الْفِقْهِ فِيهَا، **فَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ تَقُولُ:** مَنْ كَانَتْ لَهُ دَابَّةٌ يُجِيعُهَا، لَمْ يُؤْخَذْ بِإِعْلَافِهَا، وَلَكِنْ يُؤْمَرُ بِذَلِكَ، وَلَا يُجْبَرُ عَلَيْهِ، وَيُؤْمَرُ بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ، وَتَرْكِهِ إِجَاعَتِهَا، وَمِمَّنْ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ مِنْهُمْ: أَبُو حَنِيفَةَ، وَأَصْحَابُهُ. **وَطَائِفَةٌ مِنْهُمْ تَقُولُ:** بَلْ يُجْبَرَ عَلَى ذَلِكَ، وَيُؤْخَذُ بِهِ وَيُحْبَسُ فِيهِ، كَمَا يُفْعَلُ بِهِ فِيمَنْ يَمْلِكُهُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِمَّنْ تَدْعُو الضَّرُورَةُ إِلَى ذَلِكَ مِنْهُ، وَقَدْ كَانَ أَبُو يُوسُفَ يَقُولُ بِهَذَا الْقَوْلِ بِأَخَرَةٍ. (١).

وعن سهْل بن الحنْظليَّةِ، قال: مرَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم ببعيرٍ قد لَحِقَ ظهرُه ببطنه، فقال: "اتقُوا الله في هذه البهائمِ المُعْجَمَةِ، فارْكَبوها صالحةً، وكلُوها صالحةً"(٢) .

=

الحديث بهذا الإسناد صحيح؛ رجاله ثقات، وسنده متصل.

(١) شرح مشكل الآثار للطحاوي ٥٨٤٢/٦٣/١٥.

(٢) **أخرجه أبو داود في سننه**، كتاب: الجهاد، بَابُ: مَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الدَّوَابِّ وَالْبَهَائِمِ٢٥٤٨/٢٣/٣ قال: **حدّثنا عبدُ الله بن محمدٍ النُّفيليُّ، حدَّثنا مِسكين –يعني ابنَ بُكير– حدَّثنا محمد بن مُهاجِرٍ، عن ربيعةَ بن يزيدَ، عن أبي كَبشةَ السَّلُولي، عن سهْل بن الحنْظليَّةِ**...به

دراسة إسناد أبي داود:

١– **عَبد اللَّهِ بن مُحَمَّد بن عَلِيّ بن نفيل**، أَبُو جَعْفَر النفيلي ، وهو إمام ثقة؛ قَال أَبُو حاتم : سمعت يَحْيَى بْن مَعِين يثني علي النفيلي، وَقَال أَبو حَاتِم: سمعت أَبِي يَقُول: حَدَّثَنَا ابْن نفيل الثقة المأمون، وَقَال النَّسَائي: ثقة، وَقَال الدَّارَقُطْنِيُّ: ثقة مأمون محتج بِهِ، . ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧٣٥/١٥٩/٥، تهذيب الكمال ٣٥٤٥/٨٨/١٦

٢– **مسكين بن بكير الحراني**، أبو عَبْد الرحمن الحذاء، وهو ثقة؛ قَال أَبُو داود: سمعت أَحْمَد يقول: لا بأس بِهِ، ولكن في حديثه خطأ ، وَقَال يحيى بن مَعِين: لا بأس به وَقَال أَبُو حاتم : لا بأس به. كان صالح الحديث ، يحفظ الحديث، وقال الذهبي: ثقة مشهور. تهذيب الكمال ٥٩١٥/٤٨٣/٢٧، سير أعلام النبلاء ٥٧/٢٠٩/٩

=

قال ابن رسلان:" **اتقوا الله**" أي: خافوه " **في هذِه البهائم المُعْجَمة**" ، سميت بذلك؛ لأنها لا تتكلم فتشكو ما أصابها من الجوع والمشقة، وكل من لا يقدر على الكلام فهو أعجمي ومستعجم،" **فارْكَبوها صالحةً** " أي: اركبوها في حال كون البهيمة صالحة للركوب، قادرة عليه فإذ عنتت فلا تركبوها، وكذا إذا لم تقدر على الركوب لصغر أو مرض أو نحوه لا يركبها، والتحميل في معنى الركوب، فليتق الله صاحبها في التحميل، فيحرم على مستحق منفعتها، من مالك، أو مستأجر، ونحوهما، أن يحملها ما لا تطيق حمله"[(١)].

فديننا الحنيف دين الإنسانية جمعاء، علمنا أن الحيوان أمة من الأمم ، فهو يمرض كما نمرض، ويتألم كما نتألم، ويتعب كما نتعب، ويعتريه ما يعتري الإنسان من أعراض الجسد، وحتى عند الذبح أمرنا

=

٣- **مُحَمَّد بن مهاجر بن أَبي مسلم** ، ثقة؛ وثقه يحيى بْن مَعِين، وأَبُو زُرْعَة الدمشقي، وأَبُو دَاوُدَ ، ويعقوب بن سفيان، وجماعة، وَقَال النَّسَائي: ليس بِهِ بأس، وقال الذهبي: ثقة، ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣٩٠/٩١/٨، تهذيب الكمال ٥٦٣٦/٥١٦/٢٦، الكاشف ٥١٧٢/٢٢٥/٢.

٤- **ربيعة بن يزيد الأيادي** ، أبو شعيب الدمشقي القصير،وهو ثقة؛ وثقه العِجْلِيّ، ومُحَمَّد بْن عَبد الله بْن عمار الموصلي، ويعقوب بْن شَيْبَة، ويعقوب بْن سفيان، والنَّسَائي، ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢١٢٨/٤٧٤/٣،تهذيب الكمال ١٨٨٩/١٤٨/٩

٥- **أَبُو كبشة السلولي الشامي** وهو ثقة؛قَال أَحْمَد بْن عَبد اللَّهِ العجلي : شامي، تابعي، ثقة، وقَال أَبُو حاتم: لا أعلم أنه يسمى، وذكره البخاري ، ومسلم ، وغير واحد فيمن لا يعرف اسمه، وقال الذهبي: مشهور موثق، وقال ابن حجر: ثقة من الثانية. ينظر: الثقات للعجلي ٢٢٢٩/٤٢١/٢، تهذيب الكمال ٧٥٨٣/٢١٥/٣٤ ، تقريب التهذيب ٨٣٢١/٦٦٨/١.

٦- **سهل بْن الحنظلية الأنصاري**(صحابي جليل) ينظر: أسد الغابة ٢٢٨٧/٥٧١/٢، الإصابة ٣٥٣٨/١٦٤/٣.

الحكم على الحديث: الحديث بهذا الإسناد صحيح؛ رجاله ثقات، وسنده متصل.

(١) شرح سنن أبي داود لابن رسلان ٢٠٨/١١ .

الإسلام بالإحسان إليه، وعدم ترويعه، ونهى عن ذبح الدابة أمام أختها؛ رحمة بها.

فعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»(١).

قال القرطبي:" قوله: **إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**" أي: أَمَر به، وحضَّ عليه، والإحسان هنا بمعنى: الإحكام، والإكمال، والتحسين في الأعمال المشروعة، فحقٌّ من شرع في شيء منها أن يأتي به على غاية كماله، ويحافظ على آدابه المصححة، والمكمِّلة، وإذا فعل ذلك قُبِل عمله، وكَثُر ثوابه، وإحسان الذبح في البهائم: الرفق بالبهيمة، فلا يصرعها بعنف، ولا يجرُّها من موضع إلى موضع، وإحداد الآلة، وإحضار نيَّة الإباحة، والقُربَة، وتوجيهها إلى القبلة، والتَّسمية، والإجهاز، وقطع الودجين والحلقوم، وإراحتها، وتركها إلى أن تبرد، والاعتراف لله تعالى بالمنَّة، والشكر له على النعمة بأنه سخر لنا ما لو شاء لسلطه علينا، وأباح لنا ما لو شاء لحرَّمه علينا. وقال ربيعة: من إحسان الذبح: ألا تذبح بهيمة، وأخرى تنظر. وحكي جوازه عن مالك. والأوَّل أولى"(٢).

وخلاصة الأمر: أن الإنسانية في الإسلام قد وصلت إلى أبعد مدى، حتى الحيوان ضمنت له شريعة الإسلام حقوقاً، من أهمها: عدم الاعتداء عليه بغير حق، وأن من اعتدى بغير حق فقد أساء وأذنب، ومنها كذلك: عدم تجويعه، وتحميله ما لا يطيق، وغير ذلك مما أمرت به الشريعة من

---

(١) **أخرجه مسلم في صحيحه**، كِتَابُ: الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ، بَابُ: الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ٣/١٥٤٨/١٩٥٥.

(٢) المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ٥/٢٤٠.

الرحمة، والرفق، والإحسان به، فإن ادعى أحدُ أن حقوق الحيوان لم تُعرف إلا من خلال الحضارة الغربية الحديثة عندما أنشئت ما يُعرف " بـــ جمعيات حقوق الحيوان والرفق به" كان الجواب: ما ذكرناه من أن الإسلام جعل للحيوان حقوقاً منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، في حين أن المرأة عندهم كانت عبارة عن كائن من الدرجة الثانية لا قيمة لها ولا وزن، ولم يكن له حقوق، حتى كحقوق الحيوان في دولة الإسلام. فالحمد لله على نعمة الإسلام وكفى به نعمة.

خاتمة

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ بالله تعالى من شرورِ أنفسِنَا وسيئاتِ أعمالِنَا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ لَهُ، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه، وأشـهدُ أنَّ مُحَمَّـداً عبـدُهُ ورسولهُ .

وبعد،،،

وفي ختام بحثي أعرض أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

١- يُعنى بالإنسانية: القيم والفضائل النفسية المختصة بالإنسان، والتي يتميز بها عن غيره من المخلوقات، وهذه القيم والفضائل لن تكون إنسانية بحق إلا إذا كان منبعها ومنشأها الإسلام.

٢- الإنسانية في الإسلام قائمة على أنه دين عالمي، لجميع الناس والأطياف، وليس لقوم بعينهم.

٣- الإسلام لا يعرف تفاخراً بالأحساب، ولا بالأنساب، ولا بالألقاب، ولا بالأموال.

٤- لا فضل لأحد على أحد في دولة الإسلام، إلا بالتقوى والعمل الصالح.

٥- الإنسانية قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كانت قد وصلت إلى أحط صورها.

٦- كان ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إيذاناً بميلاد الإنسانية الحقيقية، والتي تجسدت في شخصه صلى الله عليه وسلم.

٧- الشريعة الإسلامية تمتاز بنزعتها الإنسانية الواضحة، وذلك في المعتقدات، والعبادات، والأحكام الفقهية.

٨- الشريعة الإسلامية دائماً وأبداً ما تراعي أحوال الناس، في اليسر والعسر، وفي الصحة والمرض، وفي البر والبحر، وفي العمارة والفلاة؛ انطلاقاً من قوله تعالى" لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا "(١).

٩- المعاني الربانية التي توجه المسلم من الإيمان، والتوحيد، والإنابة، والرجاء، والخوف، والتوكل، والرضا، والصبر، وغير ذلك..، هي في حقيقتها معان إسلامية إنسانية؛ لأنها جزء من كيان الإنسان كما فطره الله تعالى.

١١- الإنسانية الحقيقية، ومعانيها الصحيحية، هي وليدة الشريعة الإسلامية، وما خلا ذلك فهو مجرد ادعاء لا دليل عليه ولا سند.

١٢- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم التطبيق العملي، لخلق الإسلام وقيمه، ومعانيه الإنسانية.

١٣- عدم التشديد والتضييق على الناس، واختيار الأيسر والأسهل، ما لم يكن إثماً، خُلق إسلامي وإنساني رفيع.

١٤- التشدد والغلو في الدين، هو طريق من طرق الفساد في الدين نفسه.

١٥- الإسلام قد أرسى مبادىء التعايش السلمي، مع المسلمين وغير المسلمين.

١٦- العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أهل الذمة، والمخالفين، قائمة على الإحسان والبر، وحسن المعاشرة، طالما لا يحاربون الله ورسوله.

١٧- حذر الإسلام من ظَلم أهل الذمة وتعدى عليهم، بالوعيد الشديد.

١٨- سماحة الإسلام، وإنسانية المسلم مع غير المسلم، كثيراً ما كانت سبباً في هداية غير المسلمين ودخولهم الإسلام.

---

(١) سورة البقرة، آية رقم(٢٨٦).

١٩- الإنسانية مع الزوجة، والمعاملة بالحسنى، خُلق إسلامي رفيع، لا يعرفه إلا الأتقياء والأصفياء.

٢٠- العدل بين الأولاد، خلق إسلامي وإنساني رفيع،أمرت به الشريعة، وحثت عليه.

٢١- من أعظم القيم الإنسانية في الإسلام، أن يكون الإنسانُ رحيماً بأخيه الإنسان، وأن يسعى إلى تفريج همه وكربه، وأن يكون في عونه وحاجته.

٢٢- الإنسانية في الإسلام تجاه الفقراء، والمساكين، والعمال، والخدم، والعبيد، والمستضعفين، سلكت مسلكاً عملياً، تجسد في فعل رسول الله معهم، ثم سلك الدرب من بعده الصحابة الأبرار، والتابعين لهم بإحسان.

٢٣- الإنسانية في الإسلام مع الأعداء، قد بلغت مبلغاً عظيماً؛ فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه عند لقاء العدو، عن قتل الشيوخ، والنساء، والصبيان، والذراري، ومن لا قدرة له على القتال.

٢٤- الشريعة الإسلامية حرصت كل الحرص على أن تجعل للأسير حقوقاً، تصون له بها حياته وكرامته.

٢٥- من المعاني الإنسانية العظيمة في دولة الإسلام، الوفاء بالعهد حتى مع الأعداء.

٢٦- من إنسانية الإسلام ورحمته بالعصاة والمذنبين، أن الشريعة الغراء لم تكن متلهفة لإقامة الحدود عليهم، بل أمرت بالستر عليهم، والصفح عنهم، ما لم يصل أمرهم إلى الحاكم.

٢٧- بلغت الإنسانية في الإسلام تجاه الحيوان مبلغاً عظيماً؛ حيث إن الشريعة الغراء قد ضمنت له الحق في الحياة، وحذرت من اعتدى عليه بغير حق ، عامداً متعمداً بأنه قد أساء وأذنب، وأنه مسؤول أمام الله عما فعل مع هذا الحيوان الأعجم.

٢٨- من إنسانية الإسلام تجاه الحيوان، أنها أوجبت نفقات البهائم المملوكة على مالكيها، وحذرت من تجويعها أو تعطيشها، أو تحميلها ما لا تطيق.

٢٩- الإسلام جعل الرفق بالحيوان، والرحمة به، سبباً من أسباب دخول الجنة.

وأخيرا:- فهذا ما تيسر لي بعون الله وفضله، فإن كان ما توصلت إليه صواباً، فمن توفيق الله تعالى وفضله، وإن كانت الأخرى فما إليها قصدنا ولا فيها رغبنا، وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه، وأن يجعله في ميزان حسناتي.

وصلِّ اللَّهمَ وباركْ على سيِّدِنَا ونبيِّنَا وقُرَّةِ أعينِنَا مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم)، **وسلم تسليماً كثيراً.**

د/محمد عبد العزيز متولي سيد أحمد عيسى
مدرس الحديث وعلومه بكلية أصول الدين
والدعوة فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

المصادر والمراجع:

** **الآحاد والمثاني:** لأبي بكر بن أبي عاصم الشيباني، ط: دار الراية، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ، تحقيق: باسم فيصل.

** **الأحاديث المختارة:** لأبي عبد الله ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، ط: دار خضر بيروت، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٠م، تحقيق: عبد الملك دهيش.

** **الإحسان في تقريب صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان:** لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

** **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري:** لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، ط: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ.

** **الاستيعاب في معرفة الأصحاب:** لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، ط: دار الجبل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، تحقيق: علي البجاوي.

** **أُسد الغابة في معرفة الصحابة:** لأبي الحسن علي بن أبي الكرم عز الدين بن الأثير، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ، تحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود.

** **الإصابة في تمييز الصحابة:** لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض.

** **أعلام النبوة:** لأبي الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي، ط: دار ومكتبة الهلال، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

** **الأعلام:** لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، ط: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

** **إكمال المعلم بفوائد مسلم:** للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، ط: دار الوفاء، مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.
** **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس:** لأبي جعفر الضبي أحمد بن يحيى، ط: دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
** **تاج التراجم:** لأبي الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا، ط: دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى.
** **تاج العروس من جواهر القاموس:** لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق أبو الفيض الزبيدي، ط: دار الهداية.
** **تاريخ بغداد:** لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الاولى، ١٤١٧هـ، تحقيق: مصطفى عطا.
** **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة:** للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ٢٠١٢م.
** **تفسير القرآن العظيم:** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، تحقيق: محمد شمس الدين.
** **تقريب التهذيب:** لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط: دار الرشيد، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦م، تحقيق: محمد عوامة.
** **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح:** لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ط: المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٩٦٩م.
** **تهذيب الكمال في أسماء الرجال:** لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م، إشراف الشيخ: شعيب الأرنؤوط.

** **الثقات:** لمحمد بن حبان بن أحمد البستي، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الهند- الطبعة: الأولى، ١٩٧٣م.
** **جامع البيان في تأويل آي القرآن:** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد شاكر.
** **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه:** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، تحقيق: محمد زهير.
** **حاشية السندي على سنن ابن ماجه:** لمحمد بن عبد الهادي السندي، ط: دار الجبل، بيروت.
** **حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار:** لمحمد بن عمر بن ميار الحميري، ط: دار المنهاج، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، تحقيق: محمد غسان.
** **ذخيرة العقبى في شرح المجتبى:** لمحمد بن علي بن آدم الأثيوبي، ط: دار المعراج الدولية، دار آل بروم، الطبعة: الأولى.
** **ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد:** لأبي الطيب المكي الفاسي محمد بن أحمد بن علي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٠م.
** **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام:** لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.
** **زاد المعاد في هدي خير العباد:** لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٩٩٤م.

** **سنن أبي داود:** لسليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، ط: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل.
** **سنن الدارمي:** لعبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، ط: دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، ط: الأولى، ١٤١٢هـ، تحقيق: حسين سليم.
** **سير أعلام النبلاء:** لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي محمد بن أحمد، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م، التحقيق: تحت إشراف الشيخ: شعيب.
** **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية:** لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٩٦م
** **شرح السنة:** لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ط: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، تحقيق: الشيخ/ شعيب الأرنؤوط، محمد زهير.
** **شرح المشكاة للطِيبي**" الكاشف عن حقائق السنن": لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، ط: مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة: الأولى ١٩٩٧م.
** **شرح سنن أبي داود:** لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن حسين بن رسلان، ط: دار الفلاح، الفيوم، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠١٦.
** **شرح صحيح البخاري لابن بطال:** أبو الحسن علي بن خلف، ط: مكتبة الرشد، السعودية، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٣م، تحقيق: ياسر بن إبراهيم.

** **شعب الإيمان**: لأبي بكر البيهقي أحمد بن الحسين الخراساني، ط: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م، تحقيق: مختار الندوي.
** **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفاربي، ط: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ.
** **صحيح مسلم**: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله رحمة واسعة.
** **الطبقات الكبرى**: لأبي عبد الله محمد بن سعد: ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٠م، تحقيق: محمد عطا.
** **طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها**: لأبي الشيخ الأصبهاني عبد الله بن محمد، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٢م، تحقيق: عبد الغفور البلوشي.
** **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**: لابن سيد الناس فتح الدين محمد بن محمد بن أحمد، ط: دار القلم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.
** **غريب الحديث**: لابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الاولى، ١٩٨٥م.
** **غريب الحديث**: لأبي عبيد القاسم، ط: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م، تحقيق/ حسين محمد شرف.
** **الفاخر**: للمفضل بن سلمة بن عاصم، ط: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: الأولى، ١٣٨٠هـ، تحقيق: عبد العليم الطحاوي.

** **الكاشف:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، طـ: دار القبلة للثقافة الإسلامية- مؤسسة علوم القرآن- جدة- الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
** **الكامل في ضعفاء الرجال:** لأبي أحمد بن عدي الجرجاني، طـ: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
** **كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري:** لمحمد الخضر بن عبد الله ابن أحمد الشنقيطي، طـ: مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى ١٤١٥هـ.
** **لسان الميزان:** لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طـ: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٢م، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند.
** **المبسوط:** لمحمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي، طـ: دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ.
** **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:** لأبي الحسن نور الدين علي بن سلطان القاري، طـ: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠٢م.
** **مستخرج أبي عوانة:** لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق النيسابوري الإسفراييني، طـ: دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م، تحقيق: أيمن بن عارف.
** **المستدرك على الصحيحين:** لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، طـ: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر.
** **مسند أبي يعلى:** لأحمد بن علي الموصلي، طـ: دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٨٤م، تحقيق: حسين سليم.
** **مسند الإمام أحمد:** لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، طـ: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، وآخرون.

** **مسند الطيالسي:** لأبي داود سليمان بن داود الطيالسي، ط: دار هجر، مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٩٩م.
** **مع الرعيل الأول:** لمحب الدين الخطيب، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
** **معالم التنزيل في تفسير القرآن:** لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
** **معالم السنن**" شرح سنن أبي داود" للخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، ط: المطبعة العلمية، حلب، الطبعة: الأولى، ١٩٣٢م.
** **معجم الصحابة:** لأبي القاسم البغوي، ط: مكتبة البيان، الكويت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م، تحقيق: محمد الأمين.
** **المعجم الكبير:** لأبي القاسم الطبراني، ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية.
** **المعجم الوسيط:** ط: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة.
** **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم** : لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، ط: مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة: الأولى ٢٠٠٤م، تحقيق: محمد عبادة.
****معرفة الثقات:** لأحمد بن عبد الله العجلي، ط: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٥م.
** **المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور:** لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الحنبلي، ط: دار الفكر، ١٤١٤هـ، تحقيق: خالد حيدر.
** **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:** لأبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

** **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، طـ: دار القلم، بيروت، الدار الشامية، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

** **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، طـ: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ، تحقيق: عادل عبد الموجود.